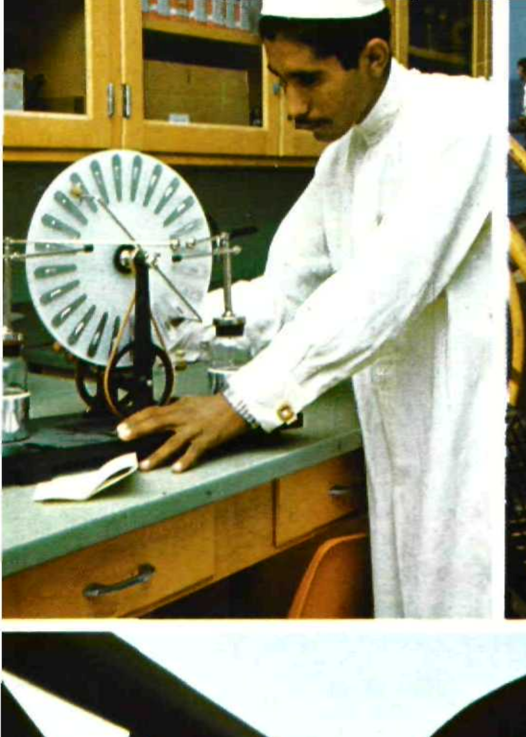
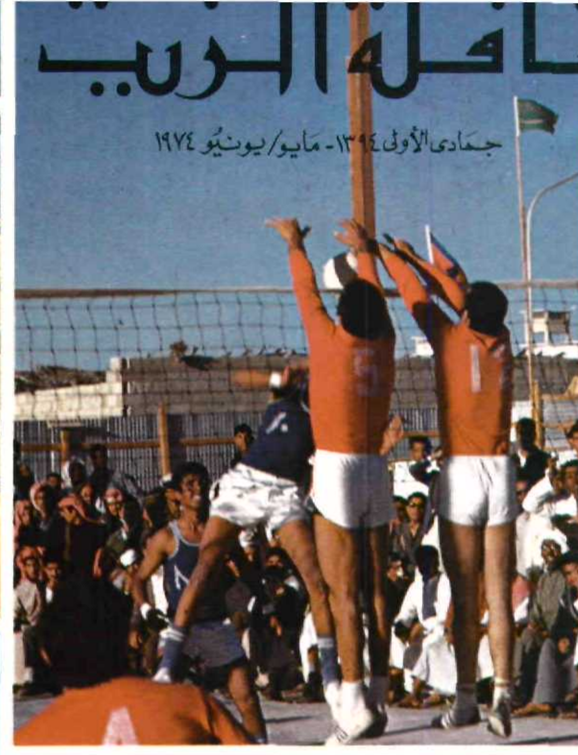





ـافلة الزيـت
جمادى الأولى ١٣٩٤ - مايو/يونيو ١٩٧٤











الجزر الجميلة التي ينتجعها الإنسان.. هل في مقدوره المحافظة عليها؟

راجع مقال «الإنسان والبحر».

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الخامس — المجلّد الثاني والعشرون

محتويات العدد

بحوث أدبيّة

بحوث علميّة

إستطلاعات مصوّرة

التعليق على صورة الغلاف

لقطات تمثل جانبا من نشاطات أرامكو عام ١٩٧٣ . (راجع مقال «أرامكو – ١٩٧٣»)

تصوير : برنت مودي

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجانا

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

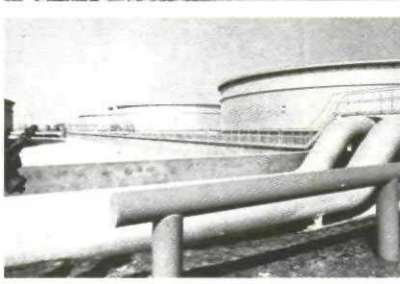
المدير العام : فيصل محمد البسام — المدير المسؤول : عبد الله صالح جمعة

رئيس التحرير : منصور مدني — المحرر المساعد : عوني أبو كشك









AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM شركة مطابع المطوع – الدمام

أثر المجامع العلمية في المعاجم والمصطلحات



بقلم : الأستاذ أحمد الجندي

علاقة الأديب باللغة علاقة قوية ، فهي عماده في صناعته ، وهي مادته الأولى التي يمكنه أن يعمل بها ، ولولا اللغة لما وجد هذا المصطلح الذي يدعى الأدب . تلك قضية لا يختلف فيها اثنان ، واللغة ، كما لا يخفى ، تتألف من مجموعة ألفاظ وكلمات تؤلف بدورها الجمل والعبارات وهذه تتألف منها البحوث والمقالات والكتب والمؤلفات . واللفظة تدل على مدلول خاص بها ، وتعطي المعنى الذي وضعت من أجله ، ولكنها قد تدل على معنى آخر مخالف لحقيقة معناها اذا اختلف طريق استعمالها والاستفادة منها : فقد تؤثر فيها كلمة أخرى توضع إلى جانبها ، وقد تحور من مدلولها عبارة تتضارب مع عبارة أخرى ، وقد يتفق أهل اللغة على إعطاء اللفظة معنى غير معناها الأصلي ، فيكون من وراء ذلك مصطلح يؤدي إلى معنى جديد .

وقد تختلف المعاني وتتفق الألفاظ ، أو قد تتفق هذه المعاني حين تختلف الألفاظ ولكل من هاتين الحالتين اسم في اللغة كما هو معروف في علوم البلاغة .

وقد تكون هناك ألفاظ متعددة كلها تؤدي إلى معنى واحد ، ولكن ارباب اللغة يقولون : إن هذه الألفاظ وإن أدت معنى واحداً ، إلا أنها مع ذلك مختلفة اختلافاً دقيقاً جداً ، فكل كلمة منها يمكن استعمالها في مكان غير المكان الذي استعملت فيه اللفظة الأخرى وإن كان الظاهر يدل على وحدة المعنيين بين اللفظتين . وفي هذه الناحية يصول الأديب الموهوب ويجول فهو يستخدم سليقته وموهبته في سبيل اختيار اللفظة التي توائمه والكلمة التي تؤدي إليه المعنى الذي يدور في ذهنه ويحاول اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل أي من حيز الفكرة الى حيز الورق .

وهناك اختلافات كثيرة بين مدلولات الألفاظ ، فالكلمة قد تؤدي إلى خدمات فنية كثيرة ليس بمعناها فقط بل بتركيب حروفها ، وقد يستخدم الأديب هذه الخصائص في الكتابة ، أو في الشعر بصورة خاصة ، لأن هذه الحروف قد تعطي مدلولات غير المعاني ، فهي تؤدي صوتاً أو جرساً معيناً يستفيد منه الأديب في تأدية المعنى الذي يريد ، وما من شك في ان الألفاظ التي تستعمل في وصف الحرب ، غير الكلمات التي تستعمل في وصف الجمال الانساني ، والشاعر قد يهتدي إلى الاختلاف بين هذه الألفاظ اهتداءاً عفوياً أو قد يقصد إلى ذلك قصداً ، وفي كلا الحالتين ، نجد أن للألفاظ معاني ظاهرة هي التي يعرفها الناس جميعاً ، ومعاني أخرى يعرفها الأديب الموهوب وتكون خافية على الناس جميعاً .

والأمثلة على ما أوردنا كثيرة جداً ، فالمتنبي حين أراد وصف جيش سيف الدولة الظافر لجأ إلى ألفاظ قويه تراها في البيت الآتي :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي اذن الجوزاء منــه زمـازم

فحرف (القاف) و (الباء) و (الزاى) و (الميم) كلها اذا اجتمعت في جملة أو بيت تؤدي الأصوات التي تدل على حركة

الجيش وضجته وصخبه وجلبته ، وخاصة هذه « الزايات » المتكررة في الشطر الثاني وفي كلمة (زمازم) بشكل خاص . أما اذا أراد الشاعر أن يتغزل فانه يلجأ إلى الألفاظ المنغومة الموسيقية التي تؤدي إلى القارىء معنى الحب كما فعل الشاعر القائل :

عيون العذارى شابهت بالأسى نفسي
سواد واسرار وشيء مـــن الأمس

والقارىء يلاحظ هذه (السينات) المتكررة التي تدل على الاستمرار والهدوء ، كما يلاحظ خلو البيت من ألفاظ القلقلة القوية التي تصدم الأذن صدماً ، كالباء والقاف والحروف الأخرى الفخمة التي لا تتناسب مع الحالات الهادئة الناعمة .

لقد كانت هذه الألفاظ مبثوثة منثورة بين الناس يحفظونها ويلجأون إلى الذاكرة والبديهة حين يحتاجون إليها وكانت البديهة يومذاك قوية مواتية تعين هؤلاء على استحضار الألفاظ فلا يجدون في ذلك عسراً ولا رهقاً . ومع اتساع المقاصد الأدبية حين اتسعت دائرة المعرفة وبتطورات الأوضاع السياسية والاجتماعية فزيدت كلمات ووضعت مصطلحات أوجدتها الطبيعة الملجئة دون أن يكون لأحد يد في ذلك إلى أن فكر أهل اللغة في جميع هذه الألفاظ في حيز واحد يرجع إليه المطالع حين يريد أن ينتقي منها ما يعبر به عن معانيه ومقاصده.

غير أن الألفاظ الجديدة ظلت نادرة قليلة بالقياس إلى الألفاظ التي توارثها المجتمع العربي وكان اللغويون يحرصون أشد الحرص على المحافظة على هذا التراث ، وكان المصدر الوحيد الذي يستقي منه أهل اللغة ثروتهم اللفظية هم الأعراب الذين كانوا يعيشون في البادية ، يتكلمون بلغتهم الأصيلة ويتحدثون بالألفاظ التي أوجدتها الطبيعة العربية ، وكان اللغويون أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد يقومون بعمل المراقب الذي تقوم به اليوم المجامع اللغوية . فالكلمة التي لا يقرها الأصمعي أو أحد من رصفائه لا يمكن أن تكون كلمة صحيحة ، وكان على الأديب الذي يريد أن يبرأ من اللوم والنقد أن يرجع إلى الصحراء فيحفظ الكلمات ويستقيها من منبعها الأصيل وهكذا فعل كبار الشعراء من أمثال أبي نواس والبحتري والمتنبي ، ولهذا السبب عينه أجاب بشار على سؤال من سأله وأبدى اعجابه بلغته فقال له : « من أين يأتيني اللحن وقد ربيت في حجور أربعين رجلاً من شيوخ بني عقيل » . ومعروف أن بني عقيل قبيلة عربية كانت تعيش في الصحراء وتتكلم اللغة العربية الصحيحة ، وكانت لغتها مرجعاً للشعراء والأدباء من سكان المدن .

وقد أخذ بعض علماء اللغة على عواتقهم جمع ألفاظ اللغة لتكون في متناول الأيدي المستفيدة وذلك في مطلع العصر العباسي فوجدت فكرة المعاجم ، وهي الفكرة التي ما تزال تتطور وتتقدم حتى أيامنا هذه ، فما هو المعجم ؟

في اللغة ، اعجم الكتاب : نقطه ، والعجم النقط بالسواد ، واعجمت الحرف وضعت فوقه أو تحته النقط ، فالخاء المعجمة هي الخاء التي عليها نقطة ، وأعجم قد تعطي عكس معناها ، لأن معناها الأصلي خفي واستغلق وعكسه ، تكشف وتوضح ، فتصبح كلمة : أعجم الكتاب أي ازلت استعجامه ، وهذا المعنى السلبي ، هو الذي قصد إليه في تسمية المعجم ، لانه الأداة التي تسهل على القارىء والمؤلف معاً على ايجاد الكلمات التي تعينه على إيراد المعاني واستخدامها . هذه الاداة التي ضمت إليها ألفاظ اللغة مرتبة حسب حروف الهجاء .

ونتيجة لكل ما تقدم نرى أن المعجم في اصطلاح أصحاب اللغة هو : كل كتاب رتبت ألفاظه بترتيب حروف الهجاء .

ولا يطلق اصطلاح (المعجم) على مجموعة الألفاظ الموضوعة والمرتبة في كتاب واحد فحسب بل يطلق أيضاً على كل كتاب علمي رتبت فيه المعلومات على هذه الطريقة من تتابع حروف الهجاء ، ولذلك اعتبر علماء الحديث الأوائل الذين رتبوا الأحاديث حسب حروف الهجاء ، أول الواضعين لهذه الطريقة ، وقد قيل ان الامام البخاري هو أول من أطلق لفظ المعجم على أحد كتبه المؤلف على هذه الطريقة ، وقد شاعت هذه التسمية فشملت اللغة والعلوم المختلفة جميعاً من تاريخ وجغرافيا وفقه وغير ذلك ، الا أن علماء اللغة لجئوا إلى التفريق بين المعجمات بصورة عامة ومعجمات اللغة بشكل خاص ، فوضعوا المعاجم اللغوية وأضاف كل واحد منهم إلى معجمه (اسماً خاصاً) يعرف به وهكذا نجد أن الخليل قد سمى معجمه (العين) والشيباني دعا معجمة (الحروف) وابن دريد (الجمهرة) والقالي (البارع) والأزهري (تهذيب اللغة) والجوهري (الصحاح) والأزدي (المنجد) وابن منظور (لسان العرب) والفيروزابادي (القاموس المحيط) . وهكذا الحال بين المؤلفين اللغويين حتى يومنا هذا . والذي يطلع على هذه المعاجم المختلفة في مادتها يلاحظ ان الزمن قد عمل فيها تطويراً وتنويعاً واختلافاً وأن المعاجم التي جاءت متأخرة في الزمن قد اشتملت على ألفاظ جديدة عصرية قد لا توجد في المعاجم التي سبقتها . وهذا دليل يؤكد أن المعجم كغيره من الأعمال العلمية التي لا بد ان ينهج في تطورها المنهج الطبيعي من مراعاة الحال ومسايرة الأجيال حتى نشأت بعض المعاجم الحديثة التي اختصرت بعض الألفاظ القديمة ويمكن الاستغناء عنها ، لتضع مكانها ألفاظاً حديثة ومصطلحات علمية جديدة أقــرت علمياً وأصبحت كلمات (معجمية) يسوغ استعمالها ويجوز اللجوء إليها في البحوث والتأليف . كمعجم المنجد الحديث الذي سد ثغرة كبيرة من الاحتياجات المدرسية والصحفية وغيرها من الخدمات العصرية .

على أن المعجم قد يكون عاماً يشمل ألفاظ اللغة جميعاً على اختلاف مدلولاتها ومعانيها كتاج العروس ومحيط المحيط ولسان العرب . . وقد يكون معجماً متخصصاً يتناول بحثــاً واحداً لا يتعداه كمعجم التاريــخ أو الجغرافيا أو الزراعة . . .

ولكن الدول والحكومات ، وعلماء اللغة رأوا أن ايجاد المعجم لا يجوز أن يبقى لكل طارق بل لا بد من تقييد ونظام بموجبهما توضع القواعد والأصول حفاظاً على اللغة وضنا بها أن تكون في متناول أشخاص قد لا يكونون على المستوى العلمي الذي يجعلهم أهلاً لوضع المعاجم وتصنيفها . كما أن وضع المعجم في عصرنا الحديث لا يمكن أن يقوم به فرد مهما أوتي من سعة في الاطلاع وبسطة في العلم ، ولو سلمنا جدلاً باستطاعة الفرد وضع معجم خاص كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، فانه من الصعوبة بمكان ، بل انه من غير الممكن أن يقوم هذا الفرد بوضع معجم عام يشمل مفردات اللغة كلها ، وقد أشار إلى هذه الفكرة العلامة الأمير مصطفى الشهابي فيما لاحظه على واضعي المعاجم من العلماء فقال : (لا يستطيع الفرد في بلادنا أن يضع معجماً عربياً في مصطلحات علوم مختلفة ما لم تزل قدمه وذلك لاتساع العلوم الحديثة واختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد) .

كما لاحظ هذا العالم الخبير العلاقة بين العالم والمجامع اللغوية وأثر المجامع في وضع المعاجم حيث قال : (يجب في المعجمات العلمية تحري المصطلحات التي ذكرها الثقات أو أقرتها المجامع اللغوية والعلمية) .

ولقد ظهرت أحوال جديدة في العصور الحديثة أدت إلى وجود ما يسمونه بالمجامع العلمية أو اللغوية ، مهمتها دراسة الألفاظ والمصطلحات ومناقشتها واقرار ما يناسب منها وطرح ما لا يناسب . أما المصطلحات والألفاظ التي تقرها هذه المجامع فهي وحدها التي تضاف إلى ثروتنا اللغوية فتدخل في المعاجم ويصبح من حق القارىء أن يستعملها دون أن يخشى مغبّة الخطأ وعاقبة الغلط أو الالتباس .

هذه المؤسسات الجديدة في البلاد الأوربية والأميركية الحديثة هي التي تتولى وضع المعاجم . والكلمة التي تقرها هذه المعاجم هي الكلمة الصحيحة لغة ، وبذلك أصبحت اللغة مضبوطة بضابط مكين ذي سلطة أدبية لا شك فيها ، وعلى هذا الأساس وجدت المجامع في البلاد العربية وكان أولها : المجمع العلمي العربي بدمشق الذي سمي فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق .

وكان الداعي إلى وجوده حرص أولياء الأمور على إيجاد لغة عربية صحيحة يمكن استعمالها في الدواوين الرسمية وفي المدارس والكتب العلمية بصورة خاصة . فقد خرجت تركيا من البلاد العربية بعد الحرب العامة الأولى ووجدت سوريا نفسها بغير لغة تقريباً لأن اللغة الرسمية فيها يومئذ التركية ، كما وجدت أن الحاجة ماسة وسريعة إلى إيجاد لجنة تكون مهمتها وضع المصطلحات والألفاظ التي يحتاج إليها في الدوائر الرسمية خاصة ، هذه اللجنة تطورت سريعاً حتى كان مجمع العلمي العربي ثمرتها . وكان رئيسه الأول المؤرخ والأديب الكبير الأستاذ محمد كرد علي ، وكان من أعضائه الاعلام ، الأساتذة سليم الجندي ، عبد القادر المغربي ، عبد القادر المبارك ، عيسى اسكندر المعلوف وغيرهم كثر .

وهكذا وجدت المؤسسة التي أخذت على عاتقها وضع المصطلحات العربيــة وتعريبها ونحتها واشتقاقها ، فكل مــا نراه اليــوم من أسماء وألفاظ ومصطلحات في دوائر سورية الرسمية أو مدارسها وفي عدد من البلاد العربية الأخرى انما هو من وضع المجمع العلمي العربي . لقد حد هذا المجمع من الفوضى التي كانت ستكتنف اللغة مما سيؤدي بالتالي إلى تبلبل الألفاظ والمصطلحات ، وبذلك الحد وضع لها ضابط يقيها من الضياع والانحراف . الا أن هذا المجمع قد نسي شيئاً واحداً هاماً ذلك هو وضع المعجم الذي كان يمكن أن يجمع هذه المصطلحات والألفاظ فيضمها إلى الكلمات العربية الموروثة ليكون من وراء ذلك مرجعاً يخلّد الجهد الذي بذله كما يخلد عمل هذا المجمع الذي أوجدته المصادفة الزمنية فقام بخدمات جلّى لا يمكن أن تنساها الأجيال العربية القادمة . والألفاظ والمصطلحات المستعملة في الدوائر والمدارس ما تزال شاهداً على الجهد الذي بذله المجمع الأول السوري والذي كان نواة المجمع العلمي العربي .

ولكن مجمع دمشق هذا لم يثابر على العمل اللغوي الذي وجد من أجله والذي كان منوطاً به قبل أن توجد المجامع الأخرى التي ظهرت في كل من القاهرة وبغداد . وقد توقف مجمع دمشق أو كاد عن مهمته الأولى والتفت بكليته إلى إحياء التراث بتحقيقه المخطوطات التي لم تنشر ، إلا ما كان من رئيسه الثالث الأمير مصطفى الشهابي الذي وقف جهده العلمي على وضع المصطلحات والاشراف على المعاجم الخاصة التي كانت تنشر على نفقة مجمع دمشق ومن أجلّ أعمال هذا العالم الجليل : معجم الألفاظ الزراعية . معجم المصطلحات الجراحية . والبحوث الكثيرة التي وضعها في طريقة إيجاد المصطلحات . ويخيّل إلي ان مجمع دمشق قد تنازل عن مهمته اللغوية إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة .

أما مجمع القاهرة فقد صدر القانون بايجاده عام ١٩٣٦ وكان من أهم أغراضه وضع معجم تاريخي للغة العربية ولكن هذا العمل الضخم قد صرف المولعين بالعمل اللغوي عن هذا المعجم فأخذت فكرته تذهب وتجيء مدة من الزمن دون ان تجد منفذاً للظهور ، وأمام الضرورة الملحة اتخذ مجمع القاهرة قراراً عام ١٩٤٠ بايجاد معجم جديد حديث سهل التناول والاستعمال على شكل المعجمات الأجنبية الحديثة على أن يشمل المصطلحات العلمية والفنية وعلى أن يكون هذا المعجم أداة سهلة في يد العلماء والطلاب على حد سواء . وفي عام ١٩٦٢ ظهر المعجم وسمي (بالمعجم الوسيط) ويتألف من ١٠٨١ صفحة من القطع الكبير قسمت إلى جزءين فيهما : ٣٠ ألف كلمة أو مصطلح مع /٦٠٠/ صورة .

ورغم كل ما بذل في سبيله من جهد فانه لم ينج من الأخطاء . وقد ألفت لجنة جديدة من أجل هذه الأخطاء فعمدت أخيراً إلى إعادة طبعه ونأمل بعد أن يأخذ شكله الجديد أن يكون المرجع الأول للمطالعين والمؤلفين ، وأن يصبح معتمداً كل الاعتماد في المصطلحات العلمية الحديثة والألفاظ العصرية الجديدة بصورة خاصة .

أما المجمع العلمي العراقي والذي انشيء عام ١٩٤٧ فلم يكن كبير الأثر في وضع هذه المعاجم وقد انصرف إلى إحياء التراث التاريخي والأثري .

وهناك مؤسسة أخرى تعمل جاهدة هذه الأيام في سبيل تعريب الكثير من المصطلحات العلمية والفنية ونقلها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية تلك هي : مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، الذي أسس منذ سنوات قليلة ، وهو يضطلع بادخال المصطلح العربي على لغة أخواننا في شمالي القارة الأفريقية مما يجعل لعمله الأثر المحمود في تلك الأمصار . وقد أصدر هذا المكتب الكثير من المعاجم العلمية والصناعية والفنية ، كما يصدر مجلة كبيرة في شكل كتب متتابعة تشتمل على الكثير من الأبحاث اللغوية والعلمية واسمها (اللسان العربي) .

ولقد لفت نظر أصحاب الرأي من العلماء وأرباب اللغة تفرع العمل اللغوي العربي واستقلال كل مجمع بما يخرج عنه من مصطلحات وألفاظ مما سبب الفوضى والتضارب والاختلاف الأمر الذي ينبغي أن لا يكون ما دامت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يتكلم ويكتب بها كل من ينطق بالعربية .

وقد لجأ المسؤولون عن المجامع في كل من مصر وسورية والعراق إلى تأسيس مؤسسة جديدة سميت باتحاد المجامع اللغوية العربية ونفذت هذه الفكرة في عام ١٩٧٠ على أن يكون هذا الاتحاد المرجع الأخير للمجامع الأخرى والمؤسسات اللغوية في البلاد العربية ، وهو الذي يقرر المصطلح او اللفظ الجديد ، وعلى المجامع والمؤسسات أن تعمل بقراراته وتوصياته .

مما تقدم يتبين الأثر القوي الذي تركته مجامع اللغة في البلاد العربية فهي التي تشكل السياج الواقي من الفوضى ، كما تشكل المصنع الذي تصدر عنه الألفاظ الجديدة والمصطلحات الحديثة تمشياً مع مقتضيات العصر والظروف والأحوال ■

أحمد الجندي – دمشق

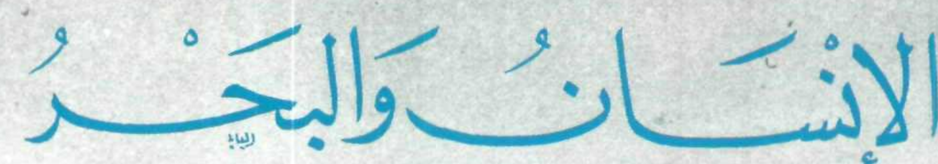
هُنَا

للشاعر: محمّد هارُون الحلو

هنا روضةٌ غنّاء ، رقرقها النّدى — وبلّلها من قطره ، وسقاها
هنا زنبقٌ نيسان ينثال رقّة — ويزهو على شمس الضّحى ، وضياها
هنا سندس نضر عليه شقائق — وأرض يروق المقلتين حصاها
هنا الشّمس في اشراقها قد تهلّلت — وفاض على وجه النّمير سناها
هنا جدول تهفو الأغاريد حوله — ودنيا بها سحر الجمال زهاها
هنا شفة ظمآى إلى قبلة النّدى — تراءى لها لمح السّنا ، فرواها
هنا بين أفواج المروج حمائم — وروح ، وريحان ، يزيد شجاها
هنا سرحة لفّاء هامت غصونها — وقدْ راق ما بين الفروع جناها
هنا ظبية بين الأراك ، وسيمة — تناغم بالشدو الرقيق فتاها
هنا بلبل غنّى فبلبل خاطرا — وأظمأ روحاً للهوى ، وشفاها
هنا في هدوء الفجر آيات قدرة — تبارك ربي صاغها ، وبراها

محمد هارون الحلو — القاهرة

م . قباني



منذ أن أبصر الإنسان البحر وأمواجه المتلاطمة أوجس في نفسه خيفة مقرونة بالرغبة الملحة في ارتياد مجاهله ومخر عبابه ، فما كان منه الا أن تحدى مخاوفه فخاض عبابه وسبر أبعاده . وقد هداه تفكيره إلى صنع مراكب بدائية في بادئ الأمر ما لبثت مع توالي العصور وتقدم العلوم البحرية والملاحية أن غدت تلك المراكب أطوادا تجري بما ينفع الناس وتمخر أمواج البحر بما زودها الانسان من أجهزة دقيقة مستحدثة غدا البحر على أثرها سبلا فجاجا وأضحت رحلاته أيسر وأسلم مما كانت عليه سابقا . وبانداح رقعة البحر أمام الانسان فلا يقف نشاطه على خوض مهامه ، بل وجه ناظريه إلى أغواره البعيدة ، بما يملكه من وسائل التقنية الحديثة والعلوم المتطورة بحثا عن كنوزه وثرواته التي فيها رغده ورفاهيته ، وسعيا وراء المحافظة عليها .

صيد السمك كان ولا يزال مهنة يمارسها الانسان كمصدر من مصادر رزقه .

يَسْحَر البحر في أحشائه كل مقومات الاغراء التي ما فتئت منذ أزمنة سحيقة تجتذب الانسان وتشده إليها على نحو يتعذر معه الافلات منها . فالقدماء في العصور الغابرة حيث هيمنت الأساطير على العقول ، نظروا إلى البحر نظرة إجلال وتقديس مشوبة بالرهبة باعتباره قوة من قوى الطبيعة الخارقة التي لا يقوى عليها الانسان . وقد حفلت كتب التاريخ القديم بالأساطير المتداولة آنذاك عن البحر ، وما تصوره الانسان القديم من مخلوقات عجيبة فيه تبعث في نفسه الرعب والفزع . فعندما نقرأ عن « بوسيدون » إله البحر عند الاغريق نعرف كيف كانوا يحتفلون به ويبتهجون .

لا شك في ان الانسان القديم ، مع ما كان ينتابه من هلع لمجرد التفكير في النزول إلى البحر ، كان تواقاً لأن يكتشف المجهول ويكتنه الأسرار ، فكانت خطاه الأولى وئيدة حذرة على شريط الشاطىء الذي انحسر عنه الماء مصوباً ناظريه إلى الأمواج العاتية المجلجلة . ولم يلبث أن استجمع شجاعته وبدد خوفه بأن صنع لنفسه مركباً من جذوع الأشجار وأخذ يجوب به الشواطيء . وشيئاً فشيئاً تمكن بعدها من الوصول إلى أعماق اللجة ، وراحت السفن بأنواعها والناقلات والغواصات تمخر عباب البحر غير عابئة بأمواجه وأنوائه . وغدا البحر للانسان مستودعاً لثروة غذائية هائلة لم تستقطب انتباهه إلا في السنوات القليلة الماضية عندما أخذت تستأثر باهتمام الحكومات والمؤسسات الصناعية فأولتها عناية فائقة وجندت لها العلماء والخبراء المتخصصين لدراستها كعنصر حيوي في المحيط الذي تعيش وتتكاثر فيه الكائنات الحية .

ان هذا الاهتمام المتزايد حديثاً ليس بدافع السيطرة على تلك الكنوز والخيرات بقدر ما هو تعبير عن ادراك خفي بأن الحياة البحرية بجميع أشكالهـا تستمد مقوماتها الأساسية من البيئة المائية . ولقد كشفت الأبحاث التي قام بها نفر من المتخصصين في علم « البيئة البحرية — Marine Ecology » ، عن العلاقات المتداخلة والمعقدة القائمة بين البحر والجو ، والتي تتم بواسطتها تبادل مستمر بينهما . كما أنها ، من ناحية أخرى ، كشفت عن العلاقة الوثيقة بين البحر واليابسة المجاورة له . فالبحر من هذه الزاوية ليس شيئاً قائماً بذاته ، وانما هو في رأي البعض غشاء شديد النفاذية يؤلف جزءاً من مجموعة واسعة من الأجهزة ذات « التبادل الكيميائي والمعدني — Chemical and Mineral Interchange » التي تؤثر في الاحياء الاخرى على كوكب الأرض تأثيراً مباشراً . وبما توصل إليه الخبراء من معلومات وفيرة نستطيع أن ندرك اليوم مدى الترابط بين الأجزاء الضحلة من البحر والحياة البحرية ذاتها . فالأسماك الاثيرة لدى الانسان وبصفة خاصة الأسماك الصالحة للأكل تضع بيضها في الأجزاء الضحلة المتاخمة للساحل ، وتعيش هناك المراحل الاولى من حياتها . وكثير من الأسماك ما يهاجر إلى المياه العذبة لوضع البيض . وبعض الأسماك واللافقاريات كالربيان ، تضع بيضها وتفقسه في المياه الملحة قليلاً ، كمصابِّ الأنهار التي يغمرها الماء من جراء حركة المد والجزر . من هذا تظهر أهمية المستنقعات ومصابّ الأنهار الملاصقة للبحر . فقد غدت منطقة مثالية لتكاثر الحياة البحرية التي أضحت ثروة اقتصادية يعتمد عليها الانسان . هذا ونجد فصائل كثيرة من الأسماك التي تعيش في لجج البحار تهرع إلى الخلجان الضحلة لتضع بيضها فيها . والمتتبع لتاريخ تطور وارتقاء كثير من فصائل الأسماك واللافقاريات المعروفة ، يتبين أنها قد نشأت أصلاً في المياه العذبة أو في مياه أخف ملوحة من المياه التي تحتويها البحار اليوم .

وهناك أمثلة كثيرة توضح هـذه الظاهرة في أرجاء المعمورة . ولعل أقرب مثل عـلى ذلك ما حدث في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بعد إنشاء السد العالي في مصر عام ١٩٦٥ . فهذا العمل يعكس بجلاء أبعاد تلك الظاهرة ومدى تأثيرها على الحياة البحرية . فالمعروف ان مقدار ما كان يتدفق من نهر النيل إلى البحر المتوسط من مياه عذبة خلال موسم الفيضان صيفاً يبلغ نحو ثمانين بليوناً من الأمتار المكعبة ، بعد أن يكون النهر قد قطع رحلة طويلة تبلغ حوالي أربعة آلاف كيلومتر وذلك من منابعه على خط الاستواء إلى مصبه في رشيد ودمياط عـلى البحر المتوسط . وبعد انشاء السد الذي يبلغ ارتفاعه ١١١ متراً فوق قاع النهر ، تكون خلفه حوض ضخم يعرف « ببحيرة ناصر » ويستطيع هذا الحوض أن يستوعب كمية من المياه تبلغ ١٧٥ بليوناً من الأمتار المكعبة مصدرها الفيضانات المتكررة لمدة عشر سنوات متتالية . و « بحيرة ناصر » تعتبر عند اكتمالها واحدة من أكبر بحيرات العالم وثاني بحيرة صناعية في أفريقيا بعد بحيرة الفولتا في غانا ، حيث ستغطي مساحة مسطحة مقدارها نحو مليون وربع المليون فدان . وسيكون طولها حوالي ٥٠٠ كيلومتر من الشمال إلى الجنوب ومتوسط عرضها من الشرق إلى الغرب ١٠ كيلومترات ، وأقصاه ٢٥ كيلومتراً . أما أقصى عمق لها فسيصل إلى نحو ١٨٠ متراً فوق سطح البحر . هذه البحيرة الكبيرة او قل هذا الخزان الضخم لمياه فيضانات نهر النيل لن يسمح إلا لخمسة في المئة تقريباً من هذه المياه العذبة بالوصول إلى البحر . وهذا في حد ذاته يؤثر بصورة مباشرة على تكاثر الأسماك

صناعة القوارب فكرة استوحاها الانسان من طبيعة البحر منذ عهود مغرقة في القدم





في غلس الليل تعود قوارب صيد الأسماك الى فرضة الجبيل بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية لتفرغ حمولتها .



قارب شراعي ينساب على صفحة مياه النيل الرقراقة وقد بدت في أقصى الصورة الأهرامات بالجيزة .



منظر عام لميناء العقير الهاجع على ساحل الخليج العربي بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .



مع ما توصل اليه الانسان من تقنية ومن ثم غوص في أعماق البحار الا ان المياه القطبية الشمالية لا تزال سرا مغلقا أمامه .



الخليج العربي مستودع هائل للثروة السمكية . ويبدو هنا نفر من صيادي السمك السعوديين لدى صيدهم سمك الربيان .



عدد من الجمال يجري نقلها بمعديات عبر قناة في نهر النيل .

في البحر . ومن المعروف ان النيل كان يحمل في موسم الفيضانات كميات هائلة من « الغرين » أو الطمي الغني بالمواد العضوية والمعدنية بالاضافة إلى مواد كيمائية مخففة متنوعة ، ونفايات زراعية يجرفها النهر في اندفاعه العارم كل عام ليفرغها في الأراضي المنخفضة في الدلتا .

وعندما يتوقف الفيضان ، وقد امتزج ماء النيل العذب بماء البحر الأجاج ، يخضل الثرى على اثر ذلك وتنبعث فيه حياة جديدة ، فتكتسي الأرض بالطحالب والحشائش البحرية ، وتتوالد العضويات الحيوانية ، وبذلك تصبح تلك الأراضي الوطيئة المتاخمة للبحر مرتعاً خصباً للأسماك . ويقدر الأخصائيون أن هذه المخصبات البحرية توفر الغذاء لأكثر من نصف المحصول السنوي من الأسماك التي كان يصطادها المصريون ، ومن بينها « البلطي » من الأسماك النهرية وسمك « البوري » وغيره من أسماك المياه الملحة بالاضافة إلى « السردين » الذي كان محصوله السنوي يقدر بنحو ١٨٠٠٠ طن .

أما وأن مياه فيضانات النيل لم تعد تصل الآن إلى البحر المتوسط بتلك الكميات المعهودة فقد ترتب على ذلك آثار بالغة الأهمية على الحياة البحرية . فقد اختفت تلك الطحالب والحشائش التي تتغذى بها الأسماك ، ومن ثم أصبح « السردين » نادراً ، وانخفض محصول السمك إلى حوالي ٥٠٠ طن سنوياً ، وهذا يمثل أقل من ٣ في المئة من المحصول السابق . ليس هذا فحسب ، بل أخذت دلتا النيل ذاتها تتعرض للتحات وعوامل التعرية المختلفة بعد أن فقدت تلك الكميات الهائلة من الطمي . كما ان نسبة ملوحة بعض مياه بحيرات الدلتا اخذت تتزايد لعدم امتزاجها بمياه النيل العذبة ، وبذلك أصبحت غير صالحة لأن تضع فيها الأسماك والربيان بيضها . ومع ان دلتا النيل تمثل تلك الظاهرة خير تمثيل ، إلا أن موازنة بسيطة بين ما تجنيه مصر من فوائد اقتصادية بفضل السد العالي وبين ما تفقده من ثروتها السمكية لا تقاس بحال مع حجم تلك الفوائد الاقتصادية الضخمة.

إن الأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة في المناطق الساحلية في العالم . وسواء اقيمت سدود على الأنهار او ردمت مستنقعات لأغراض عمرانية فان النتيجة في كلتا الحالين واحدة ، وهي تناقص المناطق الساحلية التي يمكن ان تتكاثر فيها الأسماك واللافقاريات .

ومن الظواهر التي تستحق التنويه ما جاء نتيجة حفر قناة السويس . فعندما حفرت القناة في القرن التاسع عشر لم يدر في خلد مصمميها ومهندسيها ان هذه القناة التي سترابط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ستتيح الفرصة لانتقال الأسماك من أحدهما إلى الآخر . فكل ما كان يشغل بال اولئك الخبراء هو أن تصبح القناة ممراً حيوياً للتجارة العالمية . ولعل من حسن الحظ أن اختار مهندسو القناة أيسر مجرى لها عندما ربطوها بالبحيرات المرة . فقد كانت مياه هذه البحيرات شديدة الملوحة بسبب التبخر وانحجازها عن البحر وبذلك كانت حاجزاً جزئياً لحركة انتقال الأسماك التي



قال الله تعالى «**أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة**» .

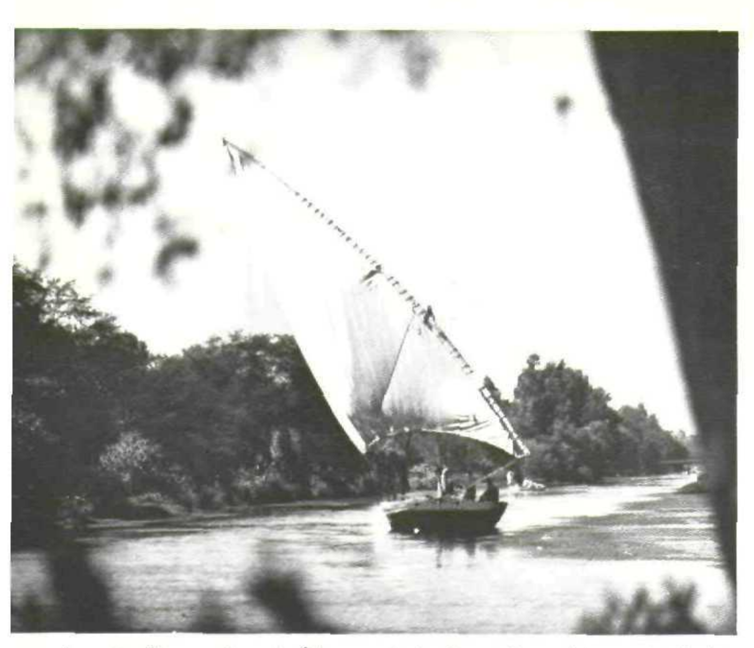


كان البحر ولا يزال رفيق الانسان ومصدراً من مصادر رزقه .

قارب صيد يتهادى على صفحة مياه الخليج العربي .



الحيوانات والطيور البحرية تؤلف حلقة أصيلة في سلسلة المواد الغذائية .



نقل البضائع بالقوارب والسفن الشراعية من الأغراض العديدة التّي قام بها الانسان عبر البحار والأنهار .

تعيش في المياه الملحة . بيد ان الرواسب الملحية في هذه البحيرات لم تلبث في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية أن أخذت تقل تدريجياً بالترشيح نتيجة لامتزاجها بمياه البحر ، مما جعل انتقال فصائل عديدة من الأسماك عبرها أمراً طبيعياً . والغريب ان تنقل الأسماك عبر القناة يأخذ اتجاهاً واحداً . فقد لوحظ ان أسماك البحر الأحمر وأنواعاً عديدة من اللافقاريات كانت أقوى على اختراق مياه القناة من أسماك البحر المتوسط اذ تدل الأبحاث السمكية التي قامت بها بعض المؤسسات المختصة على أن نحواً من ١٥٣ نوعاً من أسماك البحر الأحمر قد هاجرت إلى مياه البحر المتوسط وبالاضافة إلى ذلك فقد حصل تهجين بين سردين البحر الأحمر والبحر المتوسط نتج عنه سردين مولد صغير الحجم ذو قيمة تجارية ضئيلة هذا بالاضافة إلى ان بعض الأسماك الضخمة الضارية في البحر الأحمر كالبركودة وغيرها وجدت لها في البحر المتوسط مرتعاً خصباً فراحت تفترس الأسماك الضعيفة فيه وبذلك فقد جزء لا يستهان به من الثروة السمكية في البحر المتوسط .

واذا كانت هذه المشاريع الهندسية الكبرى التي ينفذها الانسان في انحاء كثيرة من المعمورة تؤثر في الحياة البحرية على هذا النحو ، فما بالك بنشاطات الانسان اليومية اللامحدودة التي تؤثر في البحر بطرق لا تحصى ؟ ان هناك مناطق بحرية كثيرة في العالم تتعرض لتدني هذه الثروة تدريجياً ، مرد ذلك إلى الكميات الهائلة من النفايات التي تأخذ طريقها إلى البحر . ان الاستمرار في القاء هذه النفايات في الشواطىء ليهدد الحياة البحرية من نباتية وحيوانية بالفناء . وبذلك ترتفع نسبة هذه المناطق مع مرور السنين ولا يستطيع أحد أن يتكهن بمدى ما ستؤول إليه الحياة البحرية في المستقبل اذا ما بقي هذا الوضع على ما هو عليه . ولا يقتصر الأمر على القاء النفايات والقاذورات في البحر ، بل هناك نشاطات اخرى للانسان تؤدي إلى تلك النهاية ، منها عمليات انتشال الوحول والصخور وما إلى ذلك من قاع البحر ولا سيما في الموانىء بغية تعميقها . والتي ينشأ عنها في الغالب أضرار بالغة تحيق بالحيد (١) البحري المرجاني « والشعاب المرجانية coral reefs » كما هي الحال في شواطىء « فلوريدا » الجنوبية ، اذ اتضح ان التيارات البحرية بما تحمله من صخور ووحول مصحوبة بالطمي والغبار الناعم وما شابههما تستقر في مسامات « الحيوانات المرجانية — Coral animals » وتملؤها تدريجياً ، فيؤدي ذلك إلى اختناقها ومن ثم إلى تلاشي الشعاب المرجانية ذاتها . ان القضاء على الشعاب المرجانية هو في حد ذاته خطر كبير على الملاحة البحرية ، كما يهدد سلامة الخطوط الساحلية من حيث بقائها صالحة للملاحة . ان زوال الحواجز المرجانية « barrier reefs » لا يعرقل سير التجارة البحرية فحسب ، بل هناك الأعاصير المدمرة والعواصف البحرية الهوجاء التي لا تجد ما يعترض سبيلها تنزل بالممتلكات والمنشآت الساحلية أفجع الكوارث وافدحها . واذا كنا قد ألقينا بعض الضوء على الأخطار المترتبة على عمليات إلقاء النفايات في البحر وعمليات انتشال الصخور وما شاكلها من المناطق المتاخمة للشعاب المرجانية ، فان البحار تتعرض أيضاً لخطر التلوث الناجم عن تسرب الزيت من الناقلات ، وليس بخاف على أحد مقدار ما يحدثه هذا التلوث من أثر بالغ على حياة الأسماك والحيوانات والطيور البحرية ، وما يجره هذا من انخفاض في مصادر الغذاء البحري .

لقد أدركت دول كثيرة خطورة الاستمرار في ممارسة تلك الأعمال التي من شأنها القضاء على الحياة البحرية فدعت إلى عقد مؤتمرات تحت رعاية الأمم المتحدة بحثت فيها الوسائل الكفيلة بالمحافظة على بقاء المخلوقات البحرية واستخدام التكنولوجيا الحديثة لانقاذها لخير الانسان ومستقبل الأجيال المقبلة ■

سليمان نصر الله — هيئة التحرير

(١) الصخر .

الوئام بين الزوجين

في الشعر العربي القديم

بقلم : الأستاذ الغزالي حرب

ونعني بالوئام هنا تآلف الروحين ، في ظلال العروة الزوجية الوثقى التي اعتبرها القرآن الكريم « ميثاقاً غليظاً » والتي لا تنال منها الرياح او العواصف كائنة ما كانت . أما الحب الذي لا يكاد يتجاوز الاستلطاف العابر ، والاستهواء العارض فليس هو الحب الذي نعنيه ونريده للأزواج الأوفياء والزوجات الوفيات . .

وما احكم عمر بن الخطاب حينما جاءه رجل هم بطلاق امرأته زاعماً انه لا يحبها فسأله عمر سؤالين لا يجيب عنهما الا كل زوجين وفيين متحابين :

— أوكل البيوت بنيت على الحب ؟

— أين الرعاية والتذمم ؟ (١)

حب الزوج لزوجته

شواهد حب الزوج لزوجته في أدبنا العربي القديم كثيرة ، منها تغزل الزوج في زوجته ، على الرغم من طول الالفة والمعاشرة الزوجية الرتيبة ، ومن ذلك :

تغزل امرىء القيس في زوجته ام جندب :

خليلي مرا بي على أم جندب ... لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فانكما ان تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى ام جندب
ألم ترياني كلما جئت طارقاً ... وجدت بها طيباً وان لم تطيب
عقيلة اقراب لها لا دميمة ... ولا ذات خلق ان تأملت جانب (٢)

وتغزل زهير بن ابي سلمى في زوجته أم اوفى التي بدا معلقته بالغزل فيها قائلاً :

امن ام اوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم ؟

وعلى هذا المنوال نسج كثير من الشعراء في مختلف العصور ، ففي العصر الاسلامي ، مثلاً ، تغزل حسان بن ثابت في زوجته الشعثاء .

وفي العصر الأموي تغزل الحارث بن خالد المخزومي في زوجته السيدة أم عمران . وفي العصر العباسي تغزل ابو العتاهية في زوجته وقعيدة بيته التي اقتصر عليها وفي التشبيب بها ، يقول :

من لقلب متيم مشتاق ... شفه شوقه وطول الفراق ؟
طال شوقي الى قعيدة بيتي ... ليت شعري فهل لنا من تلاق ؟
هي حظي قد اقتصرت عليها ... من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلاً بك شملي ... عن قريب وفكني من وثاق

ومن أروع شواهد حب الزوج لزوجته في أدبنا العربي القديم أيضاً نداؤهم لها أحياناً بلقب التكريم والاعزاز ، واحياناً اخرى باسمها الحبيب مجرداً او مصغراً للتكريم .

فحاتم الطائي او قيس بن عاصم يكني عن زوجته بابنة عبد الله وابنة مالك :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فاني لست آكله وحدي

وعروة بن الورد يلقب زوجته بابنة منذر :

أقلي علي اللوم يا ابنة منذر ... ونامي فان لم تشتهي النوم فاسهري

وأوس بن حجر التميمي ينادي زوجته بام الجلاس :

ألم تعلمي أم الجلاس بأننا ... كرام لدى وقع السيوف الصوارم

وازهر بن هلال التميمي ينادي زوجته «عائشة» باسمها مجرداً مرخماً :

اعاتك ما وليت حتى تبددت ... رجالي وحتى لم أجد متقدما

والمثقب العبدي يذكر زوجته في شعره بأنها عرسه ، ولذكر « العروس » ترتاح النفوس ، فيقول :

تهزأت عرسي واستنكرت ... شيبي ففيها جنف وازورار

وتأبط شرا حدثنا مرة عن زوجته باسمها مصغراً ومرة بوصفها عروساً فقال :

تقول سليمى لجارتها ... ارى ثابتاً قد غدا مرملا

وقال أيضاً :

الا تكلما عرسي منيعة ضمنت ... من الله اثماً مستسراً وعالنا

ومن ذلك أيضاً اشهاده اياها على حسن بلائه ومكارم اخلاقه ، ولا سيما الشجاعة والكرم والأريحية والمرح ، وحسبنا من شواهد ذلك قول عبد يغوث :

وقد علمت عرسي مليكة أنني ... أنا الليث معدواً علي وعاديا

وقول عروة بن الورد :

سلي الطارق المعتر يا أم مالك ... اذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أيسفر وجهي انه اول القرى ... وأبذل معروفي له دون منكر ؟

وقوله أيضاً :

ذريني ونفسي ام حسان انني ... بها قبل الا املك البيع مشتر
احاديث تبقى والفتى غير خالد ... اذا هو أمسى هامة فوق صير (٣)

وقد مر بنا آنفاً قول حاتم الطائي يخاطب زوجته :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فاني لست آكله وحدي

---

(١) نقلا عن «ربيع الأبرار» للزمخشري وهو مخطوط . (٢) جانب : المراد ضخم قصير . (٣) هامة : طائر يخرج من القبر كما كانوا يزعمون للمطالبة بالثأر والانتقام — صير : قبر .

من شواهد حب الزوج لزوجته الاشادة بمكارم الأخلاق وحسن المعاشرة الزوجية المتبادلة بين الزوجين من طراز ما اشاد به ازهر بن هلال التميمي في ندائه لزوجته الحبيبة عاتكة ، وما افتخر به ذو الاصبع العدواني قائلاً ان زوجته قد أمنت منه « الفجع » والأذى وما تمنته ابنة الخس وقد سألوها : الا تتزوجين ؟ فقالت : بلى . . لا اريده اخاً لفلان ، ولكن أريده كسوباً اذا خرج ، ضحوكاً اذا أتى .

وما عللت به السيدة ام ابان بنت عتبة بن ربيعه تفضيلياً الزواج من طلحة بن عبيد الله على سواه : إني لعارفة بخلائقه ان دخل دخل ضاحكاً وان خرج خرج باسماً وان سألت اعطى وان سكت ابتدأ وان عملت شكر وان اذنبت غفر .

وما عناه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يحدث السيدة عائشة مشيداً بحسن المعاملة وكرم المعاشرة بين السيدة ام زرع وزوجها ابي زرع الذي وصفته ام زرع — كما روى البخاري وغيره — بأنه كان « اذا دخل فهد ، واذا خرج أسد » . فلا عجب ان قال الرسول في آخر الحديث لزوجه عائشة مداعباً : « يا عائشة . . كنت لك كأبي زرع لأم زرع » ، وقال لها مداعباً أيضاً : « اني لأعلم انك اذا كنت راضية عني قلت : ورب محمد . واذا كنت غضبى قلت : ورب ابراهيم . » فقالت له السيدة عائشة هاشة باشة : « والله يا رسول الله ما اهجر الا اسمك . »

وما اروع ما رواه ابن طيفور عن رجل من آل ابي طالب قال لامرأته في فورة غضبه عليها : امرك بيدك . . فاجابته على الفور في وفاء وولاء : اما والله لقد كان هذا الحق في يدك عشرين سنة فحفظته وأحسنت صحبته وما كان لي أن أضيعه وقد صار في يدي ساعة من نهار . فاعجبه قولها واحسن صحبتها .

* * *

ومن شواهد ذلك أيضاً حسن ظنه وثقته بها وجل تقديره وتدليله لها حتى في اثناء غيابها عنه ، ودعونا من سوء ظن بعض الأزواج بزوجاتهم تحت وطأة الغيرة الجاهلية العمياء من طراز غيرة اكل المرار او غيرة الحارث بن عمرو . . وتعالوا بنا لنستريح من نسمات حسن الظن وجميل الثقة بالزوجة العربية في ظلال الادب الاسلامي ما يأتي :

— السيدة سكينة بنت الحسين شرطت على زوجها زيد بن عمرو بن عثمان الا يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً . . بل لقد منعته مرة من زيارتها بالطائف حيث كانت تقيم ببيت لها . . ثم امرت بالرحيل الى المدينة حيث اذنت له في زيارتها .

— والسيدة عائشة بنت طلحة كانت موضع الثقة والتقدير وحسن الظن من زوجها مصعب بن الزبير في غدوها ورواحها ..

— والسيدة عاتكة بنت يزيد بن معاوية كان زوجها عبد الملك بن مروان يثق بها ثقته بنفسه .

حب الزوجة لزوجها

ومن اروع ظواهر حب الزوجة لزوجها في أدبنا العربي القديم حنينها اليه اذا غاب ، حنيناً يتمثل في انها كانت اذا غاب في سفر تأخذ حفنة من تراب موضع رجليه معتقدة أن ذلك كفيل بسرعة عودته اليها غانماً سالماً من سفره . وفي ذلك تقول احدى الزوجات العربيات :

أخذت تراباً من مواطىء رجله غداة غد كيما يثوب مسلماً

وفي ذلك أيضاً تقول زوجة اخرى :

قالت له واقتبضت مـــن أثـره يا رب انت جاره فـــي سفره

* * *

ومن ظواهر حبها لزوجها أيضاً اعتبارها مصابها فيه أخطر من مصابها في أي انسان آخر وذلك ما باركه الاسلام الذي اعتبر حداد الزوجة على زوجها اربعة شهور وعشرا . . وحدادها على ابنها او ابيها أو أمها أو أخيها .. ثلاثة أيام ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** » . ويقول الحديث الشريف : « **لا يحل لامرأة أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام الا على زوجها أربعة أشهر وعشرا** » .

ومما رواه كتّاب السيرة النبوية ان الرسول عقب عودته من غزوة احد التي هزم فيها المسلمون وقتل كثر من شهدائهم . . استقبلته السيدة حمنة بنت جحش فنعى لها اخاها الشهيد عبدالله بن جحش فاسترجعت واستغفرت . ثم نعى لها خالها سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت . . ثم زادت عن الاسترجاع ، والاستغفار . . ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت واشتد بها النحيب . . . فقال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « **ان زوج المرأة منها لبمكان.** » وصدق رسول الله . . فالأب او الأم او الأخ او الابن او الابنة . . كل له مكانة ومنزلة في قلب حواء . . . ولكن الزوج الحبيب له مكانته ومنزلته التي لا تسامى طوال حياته وبعد وفاته . . وما اكثر الأشعار التي عبر

بها بعض الشعراء في الجاهلية عن مشاعر زوجاتهم نحوهم وخوفهن عليهم من الهلاك حتى لا تحل لعنة الترمل عليهن واليتم والحرمان على اولادهن منهم .. وانظروا ما قاله في ذلك مثلاً «عروة بن الورد» و«عمرو بن براقة الهمذاني» و«عمرو بن معد يكرب الزبيدي» وغيرهم..

وما اكثر الزوجات الوفيات اللاتي ابى عليهن الوفاء لأزواجهن الا الاضراب عن الزواج من غيره.. حتى نهاية الحياة، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر : السيدة «هند بنت النعمان بن المنذر» بعد قتل زوجها «عدي بن زيد» على يدي ابيها النعمان نفسه.. فقد قضت بقية حياتها في الدير المعروف بدير هند في الحيرة . . ولما خطبها «المغيرة بن شعبة» والي الكوفة في عهد معاوية، رفضت في ولاء ووفاء لزوجها العزيز ..

والسيدة «نائلة بنت الفرافصة الكلبية» بعد مقتل زوجها الخليفة الراشد الثالث «عثمان بن عفان».. فقد خطبها معاوية بن ابي سفيان نفسه معجباً بثناياها . . فما كان منها الا ان كسرت ثناياها ومقدم اسنانها ثم بعثت بها اليه فأمسك نفسه عن الطمع فيها .

والسيدة الرباب بنت امرىء القيس بعد استشهاد زوجها الحسين بن علي الذي قال فيها وفي بنتها منه «سكينة بنت الحسين» بيته المشهور :

لعمرك انني لأحب داراً ... كل بها سكينة والرباب

وبعد استشهاد الحسين . . تقدم اليها اكثر من خاطب مرموق . . فقالت كلمتها المشهورة : « والله لا اتخذت حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

وروى الأصمعي عن رجل من بني ضبة.. انه عرض على فتاة تأيمت ان يتزوجها ، فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فاضت بها مشاعرها ، قائلة في ولاء ووفاء :

كنا كغصنين من بان غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات
فأجتث صاحبها من جنب صاحبه ... دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن ... الا يضاجع انثى بعد موتاتي
وكنت عاهدته ايضاً فعاجله ... ريب المنون قريباً في سنيات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه ... عن الوفاء له خاب التحيات

ومن أروع آيات الشعر العربي القديم في وفاء الزوجة لزوجها بعد فقده ، قول السيدة فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثي زوجها الجراح بالأبيات الآتية التي قالوا ، ان ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تمثلت بها عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . . واليكم هذه الأبيات :

يا عين ابكي عند كل صباح ... جودي بأربعة على الجراح (٤)
قد كنت لي جبلاً الوذ بظله ... امشي البراز وكنت انت جناحي
فاليوم اخضع للذليل واتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح
واغض من بصري واعلم انه ... قد بان حد فوارسي ورماحي

وما احر وما اشهر رثاء جليلة بنت مرة لزوجها كليب الذي تمنت ان تفديه بحياتها ويكفينا منه قولها :

يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثب ... رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى من اسفل

ومن روائع مراثي الشاعرات العربيات قديماً :

مرثية الخنساء لزوجها مرداس بن ابي عامر السلمي ومنها قولها :

وفضّل مرداساً على الناس فضله ... وان كل هم همه فهو فاعله

ومرثية السيدة «خرنق» لزوجها وأولادها الثلاثة ومنها البيت المأثور :

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

ومرثية السيدة «دخد نوس» أو «تختينوس» لزوجها عمير بن معبد بن زرارة وترونها في « الشعر والشعراء » ، لابن قتيبة ، ومرثية السيدة عاتكة بنت عمرو بن نفيل لزوجها الصحابي الجليل الزبير بن العوام ، ومرثية سلمى بنت حريث النضرية لزوجها «زفر» ، وبها نختم مراثي الزوجات الوفيات :

اصبحت نهباً لريب الدهر صابرة ... للذل اكثر تحفاناً الى زفر
الى امريء ماجد الآباء كان لنا ... حصناً حصيناً من اللاواء والغير
كان العماد لنا في كل حادثة ... تأتي بها نائبات الدهر والقدر

ومن مظاهر تقدير الزوجة لزوجها حرصها على ماله وثروته تلافياً للفقر الذي هو أخطر ما يهدد الهناءة الأسرية والسعادة الزوجية. ولأمر ما فاضت الأشعار العربية القديمة بشكوى الزوجات والأزواج من الفقر قبل سواه فعروة بن الورد يقول لزوجته :

ذريني للغنى اسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقير
واهونهم واحقرهم لديهم ... وان امسى له نسب وخير
ويقصى في الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

وعبيد بن الأبرص يعلل فراق زوجته له بقلة ماله وكبر سنه ، قائلاً من أبيات له :

زعمت انني كبرت واني ... قل مالي وضن عني الموالي

وخليفة بن حمل بن عامر ، المشهور بذي الخرق . يتساءل وقد خاصمته زوجته ام حبيش لفقره :

ما بال ام حبيش لا تكلمنا ... لما افتقرنا وقد نثرى فنتفق

واعشى همدان الشاعر يحدثنا عن تبرم زوجته بفقره حائراً بين قولها وقوله :

قالت تعاتبني عرسي وتسألني ... أين الدراهم عنا والدنانير
فقلت : أنفقتها والله يخلفها ... والدهر ذو مرة عسر وتيسير

(٤) من العجب أن الأستاذ الدكتور أحمد الحوفي نقل هذه الأبيات مرة كمرثية لزوجها الجراح ص ١٨٢ ٤٩١ ، ومرة كمرثية لأبيها ص – ٤٨٨ من كتابه «المرأة في الشعر الجاهلي» . (٥) بسل : حرام .

ان يرزق الله اعدائي فقد رزقت من قبلهم في مراعيها الخنازير
قالت : فرزقك رزق غير متسع وما لديك من الخبرات قطمير
وقد رضيت بأن تحيا على رمــق يوماً فيوماً كما تحيا العصافير

وما شهد ابو العلاء المعري للشاعر علقمة الفحل بأنه اعلم الناس بالنساء ، الا لقوله مصوراً ضيقهن دائماً بالفقر والشيب :

فان تسألوني بالنساء فانــــني بصير بادواء النساء طبيــب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهـــن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنـــه وشرخ الشباب عندهـــن عجيب

هذا الفقر ، الذي هو أخطر شبح رهيب ، يهدد حياة الأسرة وسعادتها، ليس عجباً ان تتلافاه وتتقي شره وأذاه الزوجة العربية من قديم الزمن . ولا أقل من شدة حرصها على مال زوجها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . . واذا كانت الأم حريصة على مال ابنها بدافع الأمومة غير متأثرة بنفع شخصي تتوقعه — فالزوجة — كما قال الأستاذ أحمد الحوفي ، تحرص على هذا المال بدافع المشاركة في الحياة وبدافع شخصي من شعورها بأن هذا المال لها ولبنيها ولزوجها ، وانها تحقق به آرابها فهي أشد من الأم حرصاً واشد منها لوماً للرجل على الاسراف وهي ترى إسرافاً ما يعتده الزوج اريحية وواجباً محتوماً . واضيف الى ما ذكره الأستاذ الدكتور اننا ما رأينا شاعراً جاهلياً او اسلامياً يشير في شعره من قريب او من بعيد الى لوم امه على اسرافه في البذل والتضحية بل رأينا أماً كأم حاتم الطائي في الجاهلية ، او كأم عبد الرحمن بن عوف في الاسلام تحث ابنها على المزيد من البذل والتضحية بالمال . اما الزوجات العربيات فما اكثر ما لمن ازواجهن على الاسراف . . وحينما أبى بعضهم الانتهاء من ذلك الاسراف ، سارعن الى تطليقهم او البعد عنهم . تاركات هؤلاء الأزواج المسرفين لشبح الفقر . .

فالسيدة « ماوية بنت عفرز » طلقت زوجها حاتماً بعد أن رأت ما رأت من تخرقه في كرمه الحاتمي غير عابئة بمواعظه التي حاول ان يعظها بها قائلاً مكرراً اسمها في مطلع كل بيت من الأبيات الأربعة الآتية :

اماوى ان المال غــاد ورائــح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
اماوى انــي لا أقــول لسائل اذا جاء يوماً : حل في مالنا نزر
أماوى ما يغني الثراء عن الغنى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
ترى أن ما اهلكت لم يك ضرني وان يدي مما بخلت به صفر

ومن الطريف ان هؤلاء الزوجات اللائمات المحبات كن يخترن جنح الظلام لتوجيه سهام الملام لأزواجهن الذين ضاقوا بذلك ضيقاً عبر عنه عبيد بن الأبرص بقوله :

هبت تلوم وليست ساعة اللاحى هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي

كما عبر عنه ضمرة بن ضمرة بقوله :

بكرت تلومك بعد وهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي (٥)

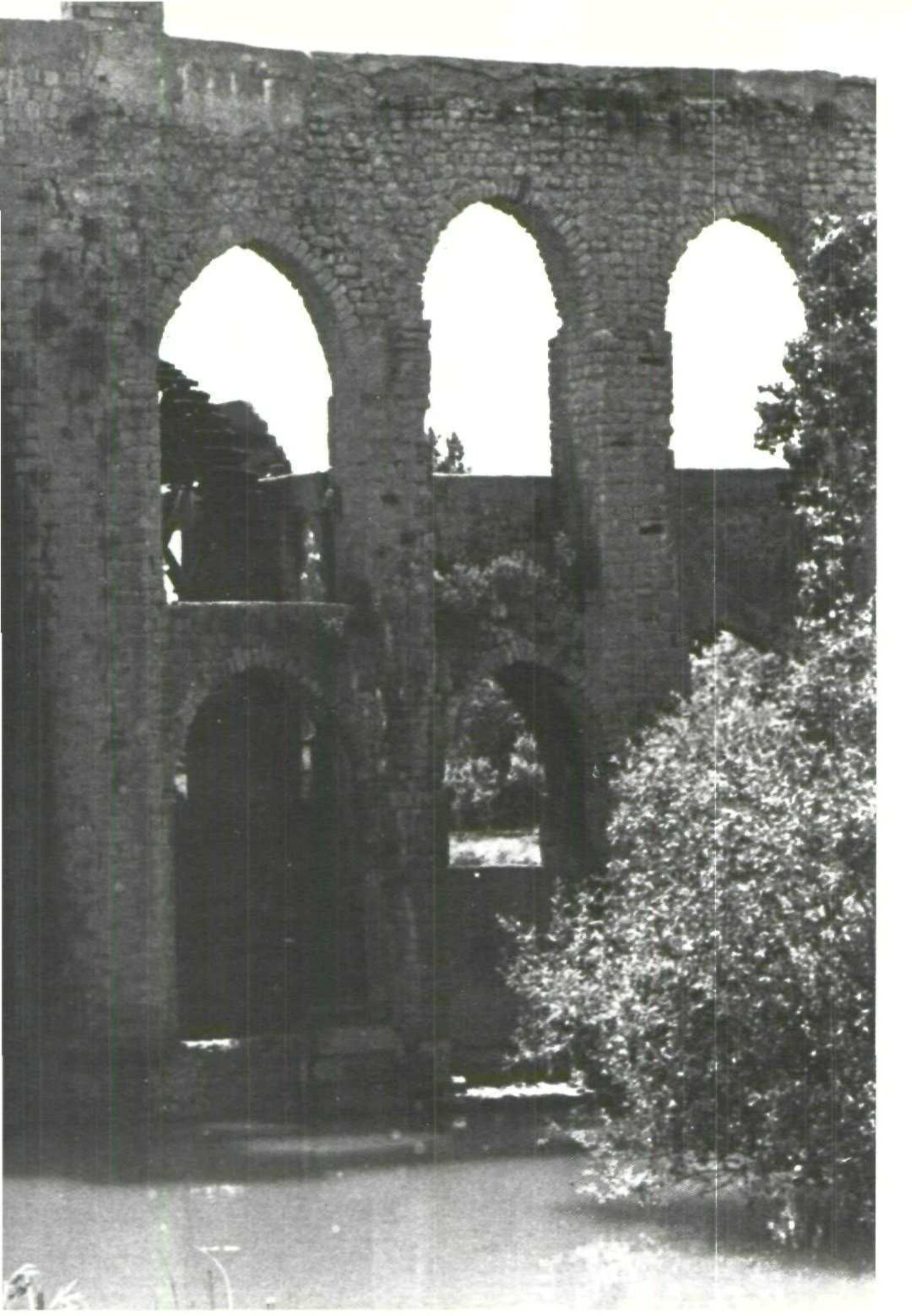
وفي ضوء ما سبق من ظواهر الحب المتبادل بين الزوجين في ظلال الأسرة العربية السعيدة يتبين لنا ان العرب لم يكونوا شعباً بدائياً يجهل عاطفة الحب ويقيم الزواج على انه اتصال غرضه اشباع اللذة وانسال الولد فحسب ، ذلك بأن البدائيين لا يعرفون عاطفة الحب وقلما تغنوا بشعر يصورها . لذلك لما ترجم المبشرون المسيحيون الكتاب المقدس الى اللغة التي تتكلمها قبيلة « الجونكون Algonquins » لم يجدوا في لغتهم كلمة واحدة تعبر عن معنى الحب . وفي قبيلة « اليوتنتوت » نجد الزواج عملاً آلياً لا يأبه فيه أحد الزوجين بالآخر . وكذلك الاستراليون البدائيون .. والمتأخرون بعامة اقل من المتمدينين ميلاً الى النساء ، حتى لقد يبقى الرجال اعزاباً مدة طويلة من اعمارهم ، ثم تطرأ عليهم الرغبة في الاتصال الجنسي وهم فقراء في عاطفة الحب لهذا لا يعمر الغرام بالمرأة قلوبهم او اخيلتهم . وما كذلك كان العرب الذين تؤكد لنا أشعارهم وآدابهم واخبارهم انهم كانوا شعباً متحضراً راقياً يؤسس العشرة بعد الزواج على دعائم من الحب والتعاطف والاعتزاز . وقد شهد المنصفون من الباحثين شرقاً وغرباً بأن الزوجة العربية كانت ارفع مكانة من اليونانية والرومانية ، لأن هذه او تلك لم تكن تنال مثل ما نالت المرأة العربية في ظلال الأسرة العربية من حب زوجها وتقديره ، كما شهدوا بان الاوروبيين لم يعرفوا للمرأة هذه المكانة الرفيعة الا بعد ان فتح العرب الأندلس ، ونقل عنهم الاسبان والأوروبيون حب المرأة وتقديرها فيما نقلوا .

فلا عجب ان كان من العرب على مر الأيام شعراء وأدباء وعلماء سجلوا خفقات القلوب ونبضات العروق وهواتف الأرواح بالحب الصادق الحار المتبادل بين الزوجين . الذي هو أسمى العلاقات الانسانية من قديم الزمان . الا حباً وكرامة لأمة هذا غيض من فيض احتفالها بالحب المتبادل بين الزوجين في ظلال الأسرة السعيدة ■

الغزالي حرب — القاهرة

مصادر البحث :

الاصابة في تمييز الصحابة ، الأغاني ، تهذيب الكامل ، شعراء النصرانية ، شرح الحماسة للتبريزي ، حماسة البحتري ، الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري وهو مخطوط بدار الكتب ، المفضليات للضبي ، ديوان عروة بن الورد ، عيون الأخبار لابن قتيبة ، أعلام النساء لعمر رضا كحالة ، العقد الفريد ، سيرة ابن هشام ، مجمع الأمثال للميداني ، أخبار النساء لابن الهيثم ، بلاغات النساء لابن طيفور ، بلوغ الأرب ، المغازي للواقدي ، تاريخ الطبري ، الأصمعيات ، المستطرف في كل فن مستظرف ، الأمالي للقالي ، الكامل لابن كثير ، نهاية الأرب ، ديوان الخنساء ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، البيان والتبيين ، ديوان عبيد بن الأبرص ، خزانة الأدب للبغدادي ، الحيوان للجاحظ ، رسالة الغفران للمعري ، المرأة في العصر الجاهلي للدكتور الحوفي ، ديوان حاتم ، زهر الآداب ، المؤتلف والمختلف للآمدي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي للدكتور الحوفي ، قصة الحضارة لديورانت ، وتراث الاسلام لجماعة من المستشرقين .



متحف حماة

بقلم: الأستاذ محمد أبو الفرج العش

حماه مدينة النواعير

تقع مدينة حماة على هامش بادية الشام وتتوسط وادي العاصي ، وتعتبر في هذا الوادي بمثابة واسطة العقد جمالاً وبهاء وثراء ، وتشتهر بنواعيرها (١) التي تعنّ بنشيد مستمر متصل . وأهم آثارها الجامع الأموي الكبير ، وجامع نور الدين والأسواق ، وحي آل الكيلاني وقصوره الفخمة ، ويعد قصر العظم التابع للمديرية العامة للآثار والمتاحف ، درة تاجها ، وقد جعل مقراً لمتحف تحفظ فيه آثار ووثائق المنطقة الوسطى من سورية ، تمثّل فيه عاداتها وتقاليدها ، وتخلّد فيه بطولات أبنائها الشهداء الأبرار الذين سقطوا دفاعاً عن وطنهم وذوداً عن أرضهم .

قصر العظم

بدأ بعمارة القصر أسعد باشا العظم (٢) سنة ١١٥٣هـ ليكون مقراً للحكم ، فأنشأ قسماً من جناح الحريم وفي المنطقة العليا منه أقام القاعة الكبرى المسماة « قاعة الذهب » . ان بيتين من الشعر يؤرخان هذا الانشاء :

وعش عمراً مديداً في سرور
وعيشك طيب صاف نضير
وقل لمهندس الغرفات أرّخ
لقاعة أسعد تحلو قصور (٣)

رمم « نصوح باشا » القصر وزاد فيه سنة ١١٩٤هـ ثم بنى « المضافة » قاعة الاستقبال سنة ١١٩٥هـ، وأكمل «أحمد مؤيد باشا» سنة ١٢٤٠هـ المنشآت الأخرى ، حيث وصل القصر إلى غايته



سقف القاعة الذهبية وقد ازدان بالأشكال الهندسية البديعة .

(١) يمر نهر العاصي من حماة في أوطأ أراضيها ، لذا أنشئت منذ القديم على ضفتيه نواعير ضخمة ترفع الماء الى أعلى المناطق من المدينة ، يعود أقدمها حاليا الى العهد المملوكي وأهمها ناعورتا المأمورية والجعبرية ، ان أهالي حماة يعنون دائما بترميم أو تجديد النواعير للمحافظة على طابعها . (٢) وهو نفسه الوزير أسعد باشا الذي بنى قصر العظم بدمشق سنة ١١٦٣هـ (راجع قافلة الزيت ، عدد شعبان ١٣٩٣) . (٣) كلمات الشطر الأخير تتضمن التاريخ ، ففي حساب الحروف العددية يكون : بقاعة (١٧٨) + أسعد (١٣٥) + تحلو (٤٤٤) + قصور (٣٩٦)=١١٥٣ وهو تاريخ الانشاء .

من السعة وتأمين أسباب الراحة ، وظلت يد العناية ترعاه إلى أن وضعت المديرية العامة للآثار والمتاحف يدها عليه ، فأعادت اليه بهاءه في أجمل حلّة .

أقسام القصر

يتألف القصر من الأقسام التالية :

- قسم الحريم (الحرملك) .
- قسم الضيوف (السلاملك) لم يجهز بعد ليلحق بالمتحف .
- الحمام .

يدخل الزائر من الباب الرئيسي فيجتاز دهليزاً طويلاً ثم يجد نفسه في باحة كبيرة تتوسطها بركة مثمنة الأضلاع ، تحف بها الزرائع ويتصدر الباحة إيوان نادر المثال في البيوت العربية بسقفه الحجري المقبّى المعقود تتوسطه سُرّة متدلية على شكل نجمي . يزدان صدر الايوان برسم ملون يمثل واجهة مزركشة تتضمن ثلاث نوافذ جميلة ويوجد إلى جوار الإيوان قاعتان وقد احاط بالباحة عدة غرف ليس لها أهمية فنية ، مما يدل على انها كانت مخصصة للخدم ، أما الآن فقد شغلت مكاتب للموظفين . وقد عرض في الباحة بعض الآثار الحجرية التي يعود تاريخها إلى عدة عصور .

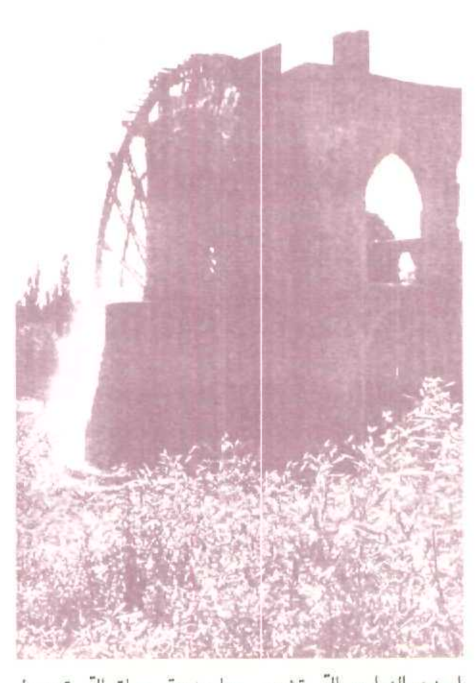
المتحف

يدخل الزائر من الباحة إلى أقبية ضخمة ، وقد أعدت هذه الباحة عند ترميم المبنى اعداداً جيداً لتكون متحفاً ، صنفت فيها الآثار (٤) حسب عصورها التاريخية .

وهناك آثار من العهد الروماني ، تتكون من منحوتات حجرية ، والفخار والزجاج ، وفسيفساء مَرْيَمين وهي من أروع وأطرف القطع التي وجدت في العالم حتى الآن تمثل أربع فتيات يعزفن على آلات موسيقية .

وهناك بعض الخزائن من الجناح الاسلامي عرضت فيه أمثلة عن صناعة الفخار والخزف التي يرجع عهدها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣–١٤م) اللذين ازدهرت فيهما الحضارة العربية الاسلامية في ظل الأسرة الأيوبية التي ظلت تحكم حماه في العهد المملوكي .

وقد خصص جناح آخر للشهداء الأبرار الذين قضوا نحبهم في سبيل الله خلال الفترة الممتدة بين عامي (١٩٤٢ و ١٩٤٥) .



احدى النواعير التي تشتهر بها مدينة حماة التي تتوسط وادي العاصي .

كما عرضت في المتحف بعض وثائق حماه التاريخية من سجلات المحكمة الشرعية والدواوين التي تمثل بحق تاريخ حماة الوثائقي في أواخر العهد المملوكي وفي العهد العثماني ، وبها ثروة لا تقدر من المعلومات (٥) التي تفصح عن تاريخ هذه المدينة العريقة من جميع النواحي الادارية والاقتصادية والاجتماعية .

قاعة الذهب

في الطبقة العليا من جناح الحريم باحة واسعة تتوسطها باحة سماوية ، تشرف عليها من الناحية الشمالية قاعة الذهب الكبرى برواقها الرشيق وقبتها السامقة وواجهاتها الغنية ، ويقع في الجهتين الشرقية والجنوبية عدد من الغرف . وفي الجهة الغربية مرتفع تتوسطه فسقية لطيفة مزينة بأجزاء من الرخام المجزع نفذت على أشكال هندسية ، هذا المرتفع هو ملاذ الأسرة صيفاً للتمتع بالهواء الطلق في الصباح والمساء ، وشتاء للتعرض لأشعة الشمس الدافئة في الأيام الصافية .

يتقدم القاعة الكبرى رواق كبير معقود يزدان بأربعة أعمدة من الرخام الغرانيت ، تليه واجهة من الحجر ذات رضم بيضاء متداخلة مع أخرى سوداء وحمراء ، وقد نضدت بنوافذ سفلى ومناور عليا ويعلو المبنى قبة فريدة من نوعها ، تقوم على رقبة عالية مجهزة بشمسيات جصية ، ينبثق من ذروتها قبيبة صغيرة ذات منور مشرق . وهذا الشكل من القباب نادر جداً في العالم العربي والاسلامي .

يدخل إلى القاعة من باب يتوسط الرواق ، وهو ذو مصراعين من الخشب الثمين ، مزين

---

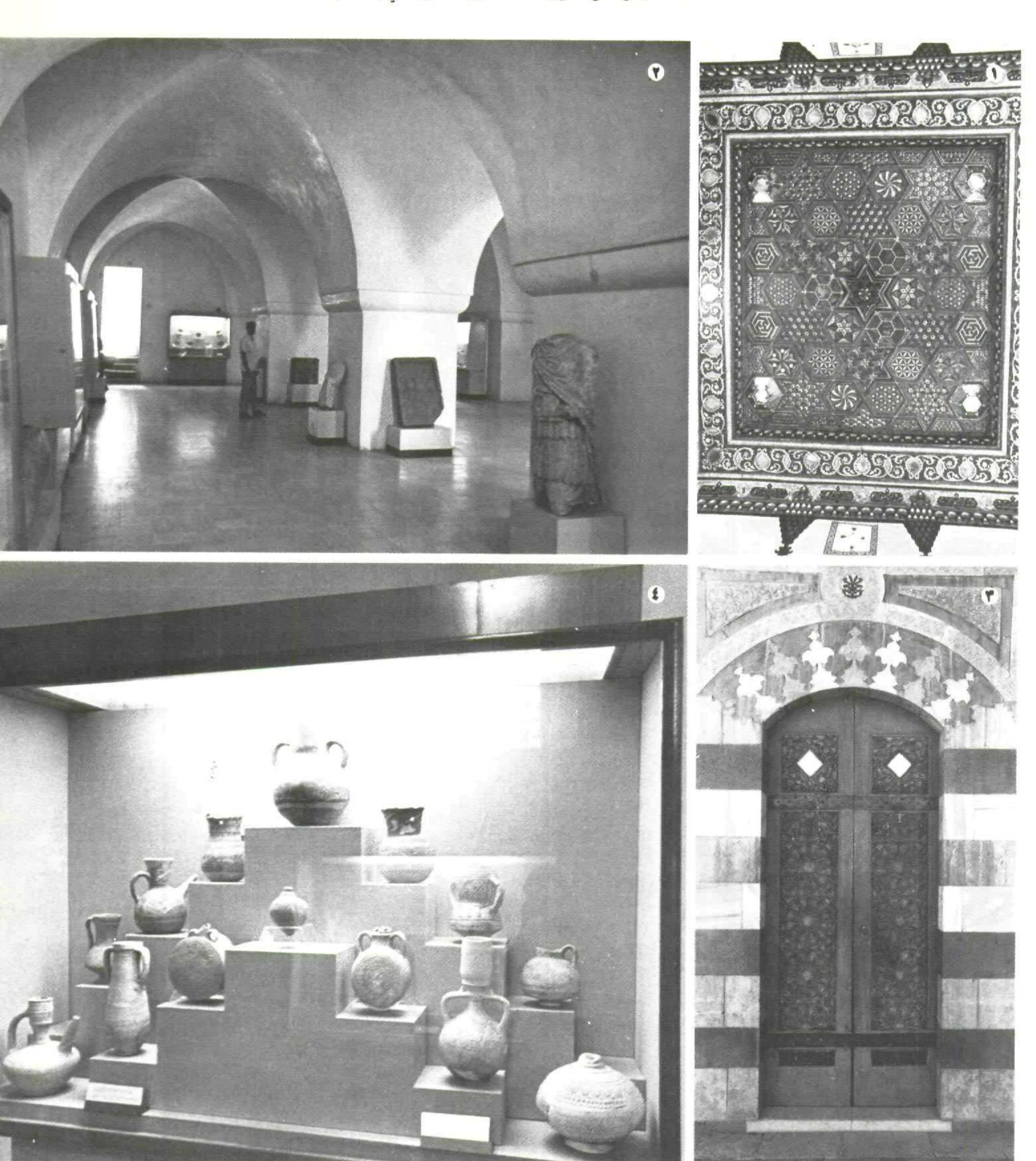
(٤) النواة الرئيسية للمجموعات الأثرية المحفوظة في متحف حماة من المكتشفات الأثرية في حماة التي ظهرت من خلال تنقيبات البعثة الدانمركية بين ١٩٣٢ – ١٩٣٨ برئاسة الاستاذ هارولد انهولت . (٥) درس بعض هذه الوثائق الأستاذ عبد الودود يوسف برغوث ، فنشر عدة مقالات عنها ، وهو الآن في طريقه الى نشر كتاب عن تاريخ حماة الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والاداري في القرن العاشر الهجري ١٦م .

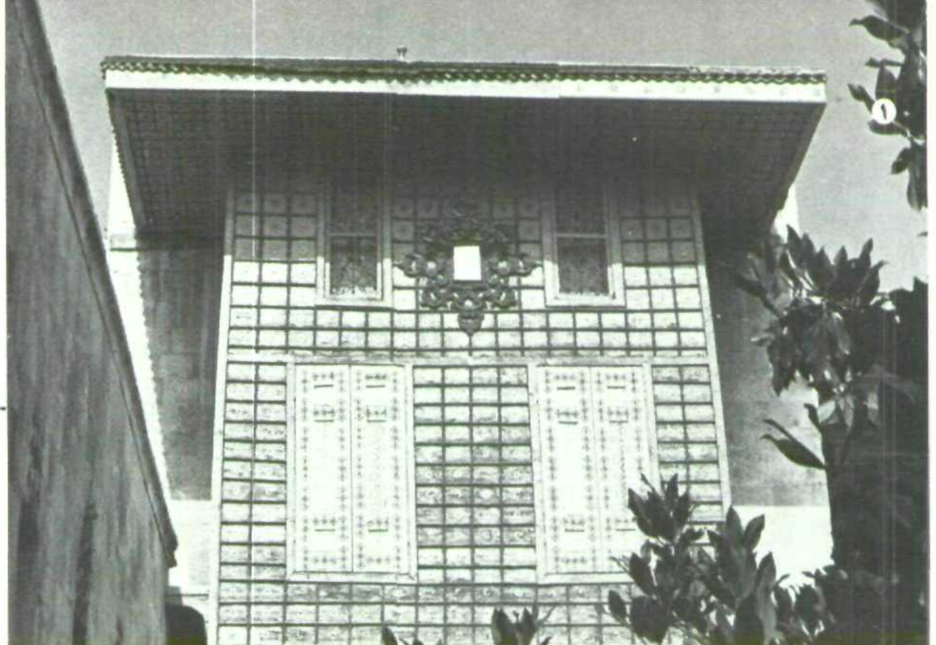
١ – زخرفة هندسية مذهبة بالألوان المختلفة تزين سقف الجناح الأيسر للقاعة الذهبية في متحف حماة .

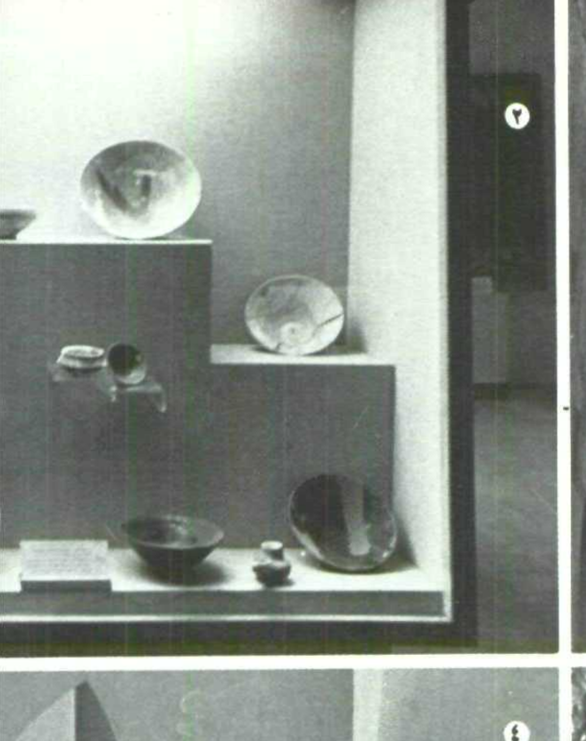
٢ – بعض المعروضات الأثرية التي يحتوي عليها متحف حماة ، وهي منحوتات حجرية يرجع تاريخها الى العهد الروماني .

٣ – باب القاعة الرئيسية الخشبي تزينه خيوط وزخارف هندسية مرصعة بالصدف ويعلوه تاج من الرخام الملون ، معشق على شكل زهرات الزنبق .

٤ – مجموعة من المعروضات الفخارية الأثرية التي يحتضنها متحف حماة .




١


٢


٤


٥







بخيوط وبزخارف هندسية مرصعة بالصدف ، يعلوه تاج من الرخام الملون ، معشّق على شكل زهرات الزنبق .

وتتألف القاعة من عتبة واطئة وثلاثة أجنحة مرتفعة . وفي صدر الجناح الأوسط شرفة بارزة إلى الخارج ترى من الداخل على شكل ايوان في غاية من الجمال . وفي صدر كل من الجناحين الأيمن والأيسر ، غرفة شتوية ، وفي صدر كل من الغرفتين شرفة بارزة إلى الخارج ، وهي أيضاً على شكل إيوان في الداخل ، ولا يوجد في بلاد الشام او أي بلد عربي آخر قاعة يشبه مخططها هذا المخطط المحكم ، فهي قاعة لكنها بمساحة دار كاملة .

أرض العتبة وحواف الأجنحة مفروشة بالرخام المجزع ، منضد على أشكال هندسية ، تتوسطها فسقية مضلعة ، في وسطها اثنان وخمسون منبعاً مائياً منظومة على شكل كوز الصنوبر ، اذا نفر الماء شكّل قبة متلألئة في غاية من البهاء .

لا بد للزائر عندما يقف بالعتبة أن يتأمل جدرانها وعقودها وقبتها ، ولو أردنا وصف أجزائها بدقة لملأنا صفحات وصفحات . يتلو ذلك شمسيات (٦) رقبة القبة بزخارفها المخرمة وزجاجها الملون ونورها الطيفي الهادىء ، ثم يلاحظ براعة البنّاء في الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل المستدير للقبة وذلك بتكسير السطوح في الزوايا لخلق مقرنصات معقدة ودقيقة في غاية من الاتقان ، يربط بها السقف بعقود الأجنحة . أما الجدار الشمالي للقبة فقد زيّن برضم من الحجر الأبيض والأسود ، يعلوه تأليف بديع من تيجان الباب والنوافذ المكونة من أجزاء رخامية ملونة متعاشقة ، وفوقه شريط من الكتابة المذهبة (البسملة وآية الكرسي ثم ادخلوها بسلام آمنين) .

أما الغرفتان اللتان في صدري الجناحين الجانبيين فمتشابهتان ، والجدران مكسوة بالأخشاب المزينة بالألوان والذهب ، تتخللها أبواب الخزائن وهي مختومة في الأعلى بطنف بارز مزين بزخارف بارزة ومقرنصات لطيفة ، واغلاق النوافذ من الخشب الجيد مزينة بخيوط عربية متشابكة . ومما يلفت النظر ان جميع الكسوات الخشبية تتضمن شرطاً وألواحاً زينت بكتابات مذهبة ورقمت بالخط الثلث ، منها ما هو تعريفي يسجل ذكرى بناء القاعة أو ترميمها ، ومنها — وهو الأكثر — ما هو قصائد في مدح الرسول —

١ — منظر خارجي للشرفة التي تتوسط صدر الجناح الأوسط للقاعة الرئيسية في المتحف ، وتبدو من الداخل على شكل ايوان في غاية الجمال .

٢ — معروضات لأطباق من الخزف التي يزدان بها جناح المعرض وقد صنفت حسب عصورها التاريخية .

٣ — جانب من صدر الجناح الأيمن للقاعة الرئيسية ، وقد نضدت أجزاؤه على أشكال هندسية معبرة ، غنية بالزخارف المقرنصة الملونة .

٤ — بعض الخزائن التي يضمها أحد أقبية المتحف ، وقد غصت بالمعروضات الأثرية التي يرجع تاريخها الى العهد الروماني .

٥ — أشكال مختلفة لبعض المعروضات الفخارية والزجاجية التي ازدان بها جناح الآثار الرومانية في المتحف .

(٦) (الشمسيات) هي النوافذ الجصية المخرمة المزدانة بزجاج ملون ، وظيفتها اعطاء نور هادىء طيفي اللون ، وتكون عادة هذه الشمسيات في رقبة قبة أو في أعلى الجدار . واذا كان شكلها مستديرا يطلق عليها (قمريات) .



قاعة جلوة العروس ، وهي تعكس جانبا من التراث والتقاليد الشعبية في سوريا .

صلى الله عليه وسلم – او في الثناء على أسرة العظم وخاصة بناة القصر ومجدديه ، او في وصف جمال أجزاء القصر وحسن تنسيقه ، ومنها بعض آي الذكر الحكيم وبعض أحاديث نبوية وحكم عربية (٧) . وهذه الكتابات وخاصة القصائد تعطي فكرة عن مستوى الفكر العربي الاسلامي والادب المعاصر في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) .

أما سقفا الجناحين المتناظرين فمتشابهان اذ ان كلا منهما مزين بزخارف هندسية غنية ، تتضمن زخارف نباتية دقيقة منفذة جميعاً بالألوان والذهب ، يحيط به إطار لطيف ثم طنف مقرنص ، يتدلى من كل زاوية مثلثة ، ومن كل ضلع شكلان مثلثان تزيينيان ينتهيان بالأسفل بزهرة الزنبق .

أما الغرفتان الداخليتان في صدر الجناحين المتقابلين فمتناظرتان ومتشابهتان ، وهما أيضاً مكسوتان بالأخشاب ، لكنهما تمتازان بوجود مصطلى بارز ذي مدخنة مضلعة متوجة بهرم متعدد الأضلاع ، تصل ذروته إلى السقف ، وسقفا الغرفتين متشابهان أيضاً وهما مؤلفان من شبكة مربعة يتضمن كل مربع صغير زهرة ، في وسطه مستطيل مزين بزخارف هندسية ومحاط باطار من الزخارف البارزة المحبوكة مع الطنف.

أما الجناح الأوسط فيختلف تماماً عن الجناحين الآخرين اذ أن جدرانه مزينة برضم من الحجارة الملونة المتداخلة ، توجت اعلاها ألواح من الرخام المجزع ونضدت أجزاؤه على أشكال هندسية ، أما اغلاق النوافذ الخشبية فقد زينت بأجمل العناصر الزخرفية ، يعلو الجدار طنف خشبي غني بزخارفه المقرنصة الملونة ، والسقف مزين بأشكال هندسية معبرة تتضمن زخارف نباتية ، وقد حبك بطنف مقرنص ذي متدليات ، ويشغل الفراغ أعلى الجدار شمسيات مخرمة ذات زجاج ملون ، تضفي على القاعة نوراً هادئاً دافئاً .

(٧) راجع كتاب «قصر العظم في حماة» للأستاذين عبدالرحيم المصري وكامل شحادة . (٨) (الزليج) لوح صغير من الخزف يكون شكله مربعا جميلا . هذا المصطلح مستعمل في أو مستطيلا أو مسدسا .. يشكل مع نظائره تشكيلا زخرفيا المغرب وهو تعبير جيد ، بينما نحن هنا في الشرق نستعمل كلمة (بلاطة) أو (لوح) ، وكلاهما كلمتان مستعملتان في مجالات أخرى .



احدى الغرف التي تضمها القاعة الرئيسية في المتحف ، وقد بدت فيها مدخنة ومقاعد وثيرة مخملية مصنوعة من الخشب المرصع بالصدف .

بيت الفلاح (طحن البرغل) من النماذج الجميلة التي يشتمل عليها متحف حماة ، وهي تعكس التقاليد الشعبية لدى الفلاح السوري .

تصوير : خليل أبو النصر

تبدو الشرفة في صدر الجناح الأوسط من الداخل وكأنها إيوان مهيب ، يعلوه عقد مؤلف من أحجار ملونة متعاشقة في غاية الاتقان والبهاء ، وهو محمول من الجانبين على عمودين رشيقين من الرخام ، يعلوه لوح مستطيل مؤلف من زليج (٨) خزفي ، مزين بزخارف وأشكال نباتية زرقاء كثيفة ، تتوسطها لوحة رقمت بستة أبيات من الشعر تؤرخ هذا المبنى الأثري .

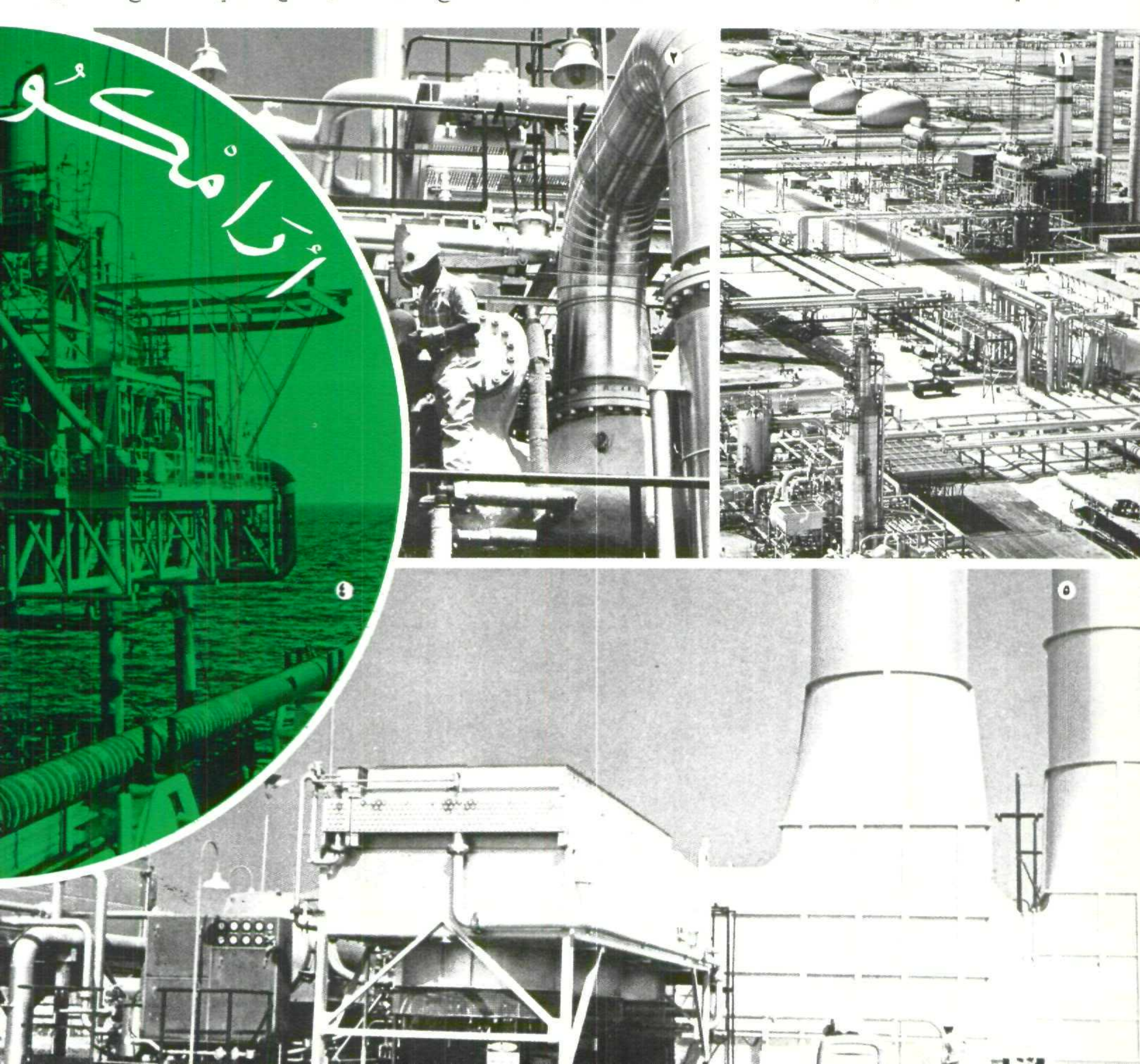
هذا وصف سريع للقاعة الجميلة والفريدة بمخططاتها وقبتها وزخرفتها ، وهي جزء من التراث الفني العتيد والتقاليد الشعبية العريقة وقد فرشت بأثاث عربي فاخر وبأثاث متطور منها المقاعد الوثيرة المخملية المصنوعة من الخشب المرصع بالصدف أو من الخشب المزين بزخارف بارزة منفذة بالنقش والحفر والتجويف ، يضاف إلى ذلك بعض النفائس والتحف والثريات والمصابيح . . ومما يكمل دور هذا المتحف في التقاليد الشعبية ، غرفة الفلاح وقاعة جلوة العروس ■

محمد أبو الفرج العش – دمشق

درجت أرامكو، جرياً على عادتها في أوائل كلّ عام، على إصدار استعراض سنويّ تتناول فيه أبرز الأعمال والإنجازات التي حققتها خلال العام الفائت.

وبمناسبة صدور الاستعراض السنويّ لعام ١٩٧٣، تُقدّم القافلة فيما يلي عرضاً سريعاً لأبرز ما تضمّنه هذا الاستعراض من أعمال في مختلف المجالات مدعماً بالصّور والأرقام.

١ – من التوسعات التي شهدتها منطقة بقيق خلال العام المنصرم، انشاء معامل جديدة لتركيز الزيت الخام ومراجل لتوليد البخار ومرافق لمعالجة سوائل الغاز الطبيعي
الحديثة التي تستخدمها أرامكو في أعمال الصيانة . ٤ – معمل لفرز الغاز من الزيت تابع لحقل مرجان في الخليج العربي ، وقد رفع لتثبيته في مكانه



أعمال الزيت

بلغ معدل ما انتجته ارامكو من الزيت الخام خلال الأشهر التسعة الأولى من العام ٧ ٥٥٨ ٩٨٧ برميلاً في اليوم . غير ان معدل الانتاج للعام كله قد نقص إلى ٧ ٣٣٤ ٦٤٧ برميلاً في اليوم اثر التخفيضات الناشئة عن احداث الشرق الأوسط .

وقد شملت التوسعات التي اضطلعت بها أرامكو خلال العام ، انشاء ثمانية معامل لفرز الغاز من الزيت على اليابسة تبلغ طاقتها الاجمالية ٢,٠٩ مليون برميل في اليوم . وفي شهر أغسطس من العام نفسه ، بديء في انتاج الزيت من حقل الحرملية الجديد الواقع على اليابسة والذي اكتشف في ديسمبر ١٩٧١ . وتبلغ طاقة معمل فرز الغاز من الزيت التابع لهذا الحقل ١٥٠ ٠٠٠ برميل في اليوم . وقد اقتضت التوسعات مد ما مجموعه ٥٦٥ كيلومتراً من خطوط الأنابيب الرئيسية في عام ١٩٧٣ . وللمحافظة على انتاج الزيت وضغط المكامن ، بديء في تشغيل ١٠ معامل جديدة لحقن الماء أثناء العام ، تبلغ طاقتها الاجمالية حوالي ٨ ٥٠٠ ٠٠٠ برميل يومياً من الماء غير الصالح للشرب يجري حقنها في أكثر من مائة بئر .

كما اقتضى برنامج التوسعة خلال العام المنصرم انجاز أربعة أعمدة جديدة للتركيز تستطيع معالجة ١,٨٦ مليون برميل من الزيت الخام في اليوم ، ومرجلين جديدين لتوليد البخار يعتبران أكبر مرجلين من نوعهما في الشرق الأوسط تبلغ طاقة كل منهما ٧٥٠ ٠٠٠ رطل

– زادت طاقة أرامكو في مجال انتاج سوائل الغاز الطبيعي بحوالي ٣٥ ٠٠٠ برميل في اليوم بعد انشاء مرافق جديدة في بقيق ورأس تنورة . ٣ – أحد المعدات
– المحطة الرئيسية لشبكة القوة الكهربائية في الظهران . ٦ – من المرافق الجديدة التي أقامتها أرامكو في فرضة رأس تنورة البحرية ، انشاء ثلاثة خزانات ضخمة للزيت .



في الساعة بالاضافة إلى مرجل ثالث كان العمل قد أوشك على الانتهاء من انشائه في نهاية العام .

وفي المنطقة المغمورة ، ارتفعت طاقة المرافق بحوالي مليون برميل في اليوم ، وبديء في الانتاج من حقل الظلوف الواقع على بعد نحو ٦٤ كيلومتراً من الساحل حيث بلغت طاقة معمل فرز الغاز من الزيت فيه ٤٥٠٠٠٠ برميل في اليوم . ويرد جزء من الكمية المعالجة في هذا المعمل من حقل مرجان الواقع على بعد نحو ١١٣ كيلومتراً عن الساحل والذي تبلغ طاقته معمل فرز الغاز من الزيت فيه ١٢٠٠٠٠ برميل يومياً حيث ينقل الزيت منه إلى معمل الظلوف ليمر بالمرحلة الثانية للفرز . والزيت الخام المنتج من حقلي الظلوف ومرجان ، يضخ الى السفينة « ف . أ . ديفز » التي تبلغ طاقة تخزينها ١,٧ مليون برميل ، ومنها يضخ إلى الناقلات . ونتيجة لتوسعة مرافق الانتاج في حقل ابي سعفة ، فقد ارتفعت طاقة الانتاج من ١١٠٠٠٠ إلى ١٦٠٠٠٠ برميل في اليوم ، كما رفع الانتاج من حقل البري بعد اقامة معمل جديد لفرز الغاز من الزيت في جزيرة « ابو علي » تبلغ طاقته ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم.

ومن المرافق الأخرى التي شملتها التوسعات تركيب ثلاثة مولدات كهربائية دوامية تعمل باحتراق الغاز وتبلغ طاقتها ٦٦ مليون واط في العثمانية ، ومولد آخر طاقته ٢٢ مليون واط في عين دار . هذا بالاضافة إلى مولدي كهرباء دواميين يعملان باحتراق الغاز واربعة مراجل جديدة ومبخر سريع لماء البحر في معمل التكرير برأس تنورة . كما انشئت مرافق جديدة لرفع الطاقة على معالجة سوائل الغاز الطبيعي وفرزها الى غاز بترول سائل وبنزين طبيعي في كل من بقيق ورأس تنورة ، ومرافق أخرى للضغط وعمود لازالة الايثان من غاز البترول السائل الخام من بقيق . .

وفي مجال التنقيب ، واصلت خمس فرق سسموغرافية مسح حقول الزيت الوسطى والشمالية والجزء الغربي من منطقة الامتياز والمنطقة الساحلية. وقد استخدمت في نقل فرق المسح هذه ومعداتها عبر المناطق الوعرة في الربع الخالي ، طائرتا هليوكوبتر تتسع الواحدة منهما لاربعة عشر راكباً . كما استكملت فرقة بحرية مسح الجزء الشرقي من المنطقة المغمورة .

وفي نهاية العام ، قدّر احتياطي الزيت الخام المرجح وجوده بنحو ١٦٤٥٢٠ مليون برميل ، منها ٩٦٩٢٢ مليون برميل ثابت وجوده .



أحد الفنيين السعوديين يعمل في احدى غرف مراقبة الزيت .

جانب من مصنع الدهان الذي أقيم
قرضا بمبلغ ٥٤٠٠٠٠ ريال سعو



قارب السحب « مرجان – ٣ » وهو ثالث قارب تستخدمه أرامكو في عملية ارساء الناقلات في فرضة رأس تنورة البحرية ، وتبلغ قوته ٤٠٠٠ حصان .

من هذا المكان ، يستطيع شخص واحد أن يراقب شبكة القوى الكهربائية

عمليات التكرير

بلغت كميات الزيت الخام والمنتجات المحقونة المعاد استخراجها وسوائل الغاز الطبيعي المعالجة في معمل التكرير في رأس تنورة حتى نهاية العام ٢٢٢ ٨٨٩ ٥٦٧ برميلاً ، أي ما متوسطه ٦١٠ ٦٥٦ برميلاً في اليوم . كما زادت طاقة التخزين في الفرضة بعد بناء خزانين تبلغ السعة الاسمية لكل منهما ١,٢٥ مليون برميل وخزان ثالث تبلغ سعته الاسمية مليون برميل . كذلك انشئت شبكتان لتحميل الزيت الخام طاقة كل منهما ١٣٥ ٠٠٠ برميل في الساعة وذلك لنقل الزيت من شمال الفرضة إلى الجزيرة الاصطناعية رقم — ٤ .

وبلغ عدد الناقلات التي أمت الفرضة البحرية في رأس تنورة خلال العام ٤١٣١ ناقلة حملت ما مجموعه ٢ ٤٦٦ ٢٣١ ٥٣٨ برميلاً من الزيت الخام والمنتجات المكررة ، أي بزيادة ١٠,٦ في المائة على ما حمل في عام ١٩٧٢ .

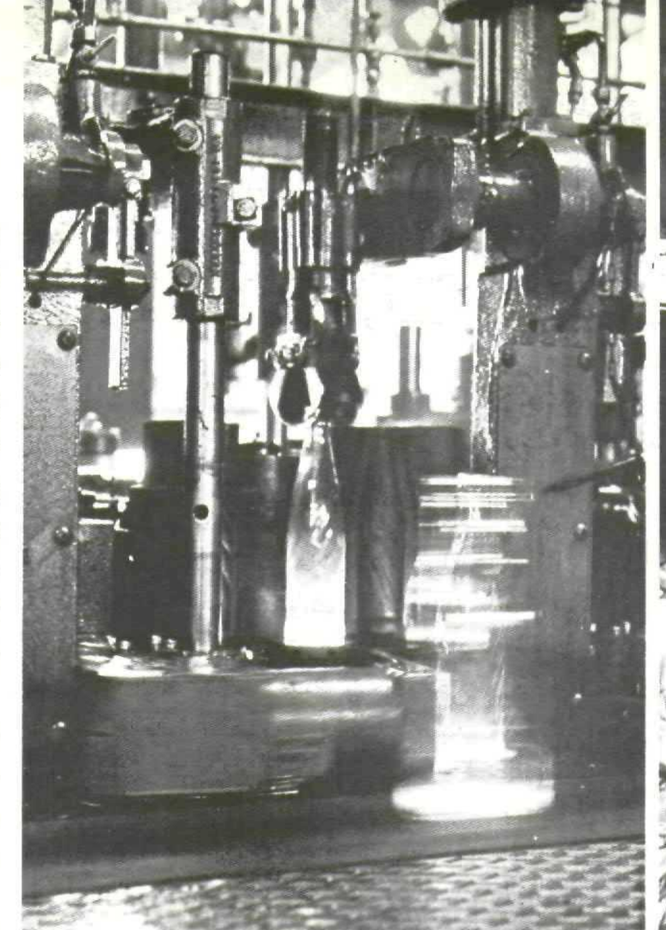
ومن ناحية أخرى بدىء في استخدام المركب (مرجان — ٣) في فرضه رأس تنورة ، وهو ثالث مركب تبلغ قوته ٤٠٠٠ حصان تستخدمه الشركة . كما زيدت مرافق تزويد السفن بالوقود في الفرضة باستئجار ناقلة سعتها ١٦٠ ٠٠٠ برميل لتحل محل سفينة تموين أصغر منها .

حفر ٣٢٣ بئراً جديدة

تم خلال العام حفر ٣٢٣ بئراً لانتاج الزيت والمحافظة على الضغط وتحديد المكامن ومراقبتها وتقويم نتائج التنقيب في الأماكن العميقة . كما حفر بالاضافة إلى ذلك ٤٣ بئراً لتأمين الماء اللازم لأعمال الحفر . وارتفع عدد أجهزة الحفر الكبيرة من ١٩ الى ٢٢ جهازاً منها اربعة تعمل في المنطقة المغمورة .

الموظفون السعوديون يشكلون ٧٩٪ من موظفي أرامكو

بلغ مجموع عدد موظفي أرامكو العاملين في المملكة العربية السعودية حتى نهاية العام ١٣ ٠٠١ ، منهم ١٠ ٢٣٨ موظفاً ومتدرجاً سعودياً ، أي ما يعادل ٧٩ في المائة من مجموع



من المصانع المحلية التي كفلت أرامكو قروضا لها في المنطقة الشرقية ، مصنع الزجاج في الدمام .

ام عام ١٩٧٣ ، والذي ضمنت له أرامكو



الأيدي العاملة في الشركة . . وارتفع عدد الموظفين السعوديين في المناصب الرئاسية في الشركة وعددها ، ٧٣٨ منصباً من ٢٥١ إلى ٢٩٧ أي بزيادة نسبتها ١٨,٣ في المائة .

ارتفاع متوسط الدخل السنوي للموظف السعودي بنسبة ١٣,٨ في المائة

ارتفع متوسط الدخل السنوي للموظف السعودي خلال العام بنسبة ١٣,٨ في المائة على ما كانت عليه في العام السابق ، وذلك ضمن الزيادات العامة وزيادات الجدارة والترقية التي منحت للموظفين خلال عام ١٩٧٣ . كذلك زادت اموال نظام الادخار ، بما فيها مكاسب الاستثمار ، خلال العام حتى بلغت ٠٣٧ ٦٦٣ ٨١ ريالاً ، أي بمعدل ٠٣٥ ١٠ ريالاً لكل مشترك .

٣٤٠٠ موظف ومتدرج يشتركون في برنامج للتدريب

بلغ عدد الموظفين والمتدرجين السعوديين الذين اشتركوا في برامج تدريبية تحت اشراف ادارة التدريب خلال العام حوالي (٤٠٠ ٣) موظف ومتدرج . كما تلقى اكثر من ٠٠٠ ٣ من هؤلاء تدريباً يتصل بطبيعة عملهم بمراكز وورش التدريب في الشركة بالاضافة إلى حوالي ١٥٠ آخرين منهم أكملوا دورة أو أكثر من الدورات السبع التي تقدمها الشركة ضمن نطاق التدريب على الادارة . .

ومن ناحية أخرى ، كان في نهاية العام ١١٩ موظفاً سعودياً يتلقون الدراسة في كليات وجامعات ومعاهد ومدارس أخرى ، منهم ١٠٠ في الولايات المتحدة و ١٨ في المملكة العربية السعودية وواحد في لبنان . وقد حاز موظف سعودي على شهادة الماجستر و ١٨ على شهادة البكالوريوس ، وخمسة آخرون على شهادات في مواضيع معينة . . كما شمل برنامج البعثات في الشركة ارسال اثنين من قباطنة قوارب السحب السعوديين الى انكلترا للتدرب على ارشاد السفن في الموانيء .

وجدير بالذكر ان برنامج التدرج قد وسع بحيث أصبح يضم ٩٢٨ متدرجاً في نهاية عام ١٩٧٣ . وقد وظفت الشركة منذ بدء البرنامج ٤١٦ متدرجاً للعمل فيها بصفة منتظمة .

اما في مجال الخدمات الطبية التي تقدمها الشركة للموظفين وعائلاتهم ، فقد بلغ مجموع الزيارات التي قاموا بها للعيادات الطبية خلال العام ٠٠٠ ٤٠٣ زيارة . ومن بين الخدمات الطبية التي توفرها الشركة ضمن برنامج صحي خاص ، العناية بصحة الأمهات والأطفال .

الشركة تنفق ٣٠٠ ١٧٤ ١٠١ ريال على برامج العوائد للموظفين السعوديين

بلغ مجموع ما انفقته الشركة على برامج العوائد للموظفين السعوديين خلال العام حوالي ٣٠٠ ١٧٤ ١٠١ ريال ، ويشمل هذا المبلغ ما دفعته الشركة في حالات التقاعد والاقعاد الدائم او الوفاة وانهاء الخدمة والمكافأة على المدخرات والخدمة المستمرة ، وما أنفقته ضمن برنامج العناية الطبية والوقاية الصحية .

٨٢٢٠ موظفاً سعودياً يشتركون في برنامج تملك البيوت

بلغ مجموع الموظفين السعوديين الذين تملكوا بيوتاً بقروض من الشركة بموجب برنامج تملك البيوت منذ بدء تنفيذه في عام ١٩٥١ حتى نهاية العام ٨٢٢٠ موظفاً ، وبلغ مجموع القروض الممنوحة بموجب هذا البرنامج ٤٠٠ ٤٩٠ ٢٨٦ ريال ، بالاضافة الى حوالي ٦٠٠ ١١٩ ٣ ريال انفقتها الشركة خلال العام على مشاريع عمرانية في المناطق التي تشمل بيوت الموظفين . ومن ناحية أخرى ، أدخلت الشركة تحسينات كبيرة على برنامج تملك البيوت اعتباراً من مطلع يناير ١٩٧٤ بحيث زيد المبلغ المخصص لتملك بيت من ٠٠٠ ١٥٠ ريال الى ٠٠٠ ٢٠٠ ريال ، وزيد المبلغ المخصص لشراء قسيمة أرض من ٠٠٠ ١٠ الى ٠٠٠ ٢٥ ريال ، كذلك زيدت نسبة الاعانة التي تقدمها الشركة لشراء قسيمة الأرض من ٢٠ الى ٥٠ في المائة .

وفي مجال السلامة ، كانت نسبة الاصابات المقعدة في أرامكو خلال العام ٤,١ اصابات في كل مليون ساعة عمل وهي أقل بكثير من النسبة التي شهدتها صناعة البترول في أنحاء العالم عام ١٩٧٢ ، والتي كانت حوالي ٧,١١ ، كذلك انخفضت نسبة حوادث اصطدام السيارات بمعدل ٩,٧ في المائة على ما كانت عليه في العام المنصرم ، ومن ناحية أخرى واصلت الشركة نشاطها في تدريب موظفيها على اصول السياقة الوقائية ومكافحة الأساليب غير المأمونة في الأعمال التي يمارسونها .

أرامكو والبلد الذي تعمل فيه

انفقت الشركة وموظفوها الأجانب في المملكة العربية السعودية خلال العام حوالي ٠٠٠ ٠٧٥ ٢٥١ ٢ ريال لقاء شراء مواد وخدمات ودفع ضرائب شخصية وذلك بالاضافة الى ما دفعته الشركة من ريوع وضرائب . وبلغ مجموع ما دفعته الشركة الى المؤسسات المحلية لقاء تقديم

بعض الموظفين والمتدرجين السعوديين الذين تلقوا تدريبا داخل مراكز التدريب في الشركة وورشها خلال العام .



كانت ارامكو قد كفلت له قروضاً بمبلغ ٠٠٠ ٦٨٣ ٧ ريال، عمله في فبراير ١٩٧٣ ، وهو ينتج حالياً قوارير للمرطبات لسد حاجة السوق المحلية .

وعلى صعيد برنامج المساعدات الزراعية واصلت ارامكو تعاونها مع وزارة الزراعة والمياه في المملكة ، لايجاد مصادر محلية للأغذية تكفي لسد حاجة تزايد عدد السكان . كما ادت المساعدات الفنية التي تقدمها أرامكو للمزارعين المحليين إلى ارتفاع دخلهم الاجمالي إلى ٠٠٠ ١٨٦ ٤٢ ريال مقابل ٠٠٠ ٦٨٤ ٢٣ ريال في عام ١٩٧٢ .

كذلك ساعدت أرامكو في ادخال الوسائل الحديثة لتحسين تربية النحل في الاحساء بغية تلقيح المحصولات الزراعية وزيادة محصول العسل في آن واحد، كما ساعدت أيضاً في اتخاذ خطوات تمهيدية لاقامة مصنع للعلف يدار بالطرق الأوتوماتيكية ، بالاضافة الى تأمين مصدر محلي للصيصان تكون طاقته الأولية ١,٢٥ مليون صوص في السنة .

وبلغ عدد المدارس التي بنتها أرامكو بموجب اتفاقية مع الحكومة العربية السعودية حتى نهاية العام ٤٦ مدرسة بالاضافة الى اجنحة زيدت الى مدرستين اخريين . كما بلغ مجموع ما انفقته الشركة على انشاء هذه المدارس وتشغيلها وصيانتها ٨٠٠ ٢٦٣ ٢١٣ ريال .

وفي مجال التبرعات ، بلغ مجموع ما تبرعت به أرامكو لأغراض تعليمية وخيرية وانسانية خلال العام حوالي ٨٠٠ ٧١٩ ١١ ريال ، منها ٠٠٠ ٥٤٥ ٣ ريال تبرعت بها لكلية البترول والمعادن و ٠٠٠ ٥٠٠ ريال لجامعة الملك عبد العزيز في جدة . وقد شملت هذه التبرعات أيضاً وكالة الانروا ، والمدارس والمكتبات ومنظمات الشباب والجمعيات الخيرية ومراكز العناية بالامهات والأطفال والمشاريع الخيرية التي تضطلع بتنفيذها الجمعيات التعاونية بالمملكة .

ومن ناحية أخرى ، بلغ ما انفقته أرامكو على المنح الدراسية الستين التي تقدمها لطلاب وطالبات تختارهم الحكومة من الرعايا السعوديين خلال العام ٢٠٠ ٥٨٨ ١ ريال وبذلك أصبح مجموع ما انفق على هذه المنح حتى الآن ٤٠٠ ٤٥٣ ١٣ ريال . كما وظفت أرامكو حتى الآن ١٠٢ من طلاب كلية البترول والمعادن للحصول قبيل تخرجهم على خبرة عملية لسنة واحدة في احدى صناعات القطاع الخاص .



وسعت أرامكو خدماتها في مجال العناية الصحية للأمهات والأطفال .

بضائع وخدمات خلال العام ٠٠٠ ٦٠٠ ٧٥٦ ١ ريال مقابل ٠٠٠ ٢٠٠ ٠٨٤ ١ ريال في عام ١٩٧٢ . وفي اواسط عام ١٩٧٣ ، وضعت أرامكو برنامجاً لتدريب عمال المقاولين من شأنه زيادة استخدام المواطنين السعوديين العاملين لدى المقاولين وتدريبهم .

وفي مجال التنمية الصناعية المحلية ، واصلت الشركة تقديم المساعدات المالية والفنية الى اكثر من ٥٠ مؤسسة تجارية سعودية بغية زيادة حجم البضائع والخدمات المتوفرة للجمهور وأرامكو ، والتي بلغت قيمتها ٥٠٠ ٢٧١ ٢٢٢ ريال . هذا ، وقد استمر رجال الأعمال السعوديون في تقديم الخدمات الى ارامكو ، منها ترميم المعدات واصلاحها ، وتخزين البضائع والتجارة ، ونقل اجهزة الحفر على اليابسة ، وتقديم جهاز هيدروليكي لصيانة الآبار في المناطق المغمورة .

ومن بين المساعدات الفنية التي قدمتها أرامكو لرجال الأعمال السعوديين ان ضمنت قرضاً استدانه مساهمون سعوديون وكويتيون ودنمركيون لانشاء معمل دهان في الدمام لانتاج ١٢٥٠ طناً في السنة من مختلف انواع الدهان المستعملة في الأغراض الصناعية والمنزلية . كذلك ساعدت أرامكو جماعة من رجال الأعمال السعوديين على شراء مصنع الكتروليتي لانتاج حامض الهيدروكلوريك والصودا الكاوية والكلورين وبيعها الى أرامكو ومؤسسات أخرى في المنطقة .

ومن ناحية أخرى تخرج من مدرسة اللحام المحلية التي تساعدها أرامكو ، خلال الأشهر الثمانية عشر الأولى من بدء عملها ١٩٨ لحاماً معتمداً يعملون الآن لدى أرامكو وغيرها من أصحاب الأعمال .

هذا وقد بدأ مصنع القوارير الزجاجية الذي

اخبار الكتب

* أصدر الباحث البيليوغرافي الدكتور يوسف أسعد داغر الجزء الثالث من كتابه الموسوعي « مصادر الدراسة الأدبية : الفكر العربي الحديث في سير أعلامه » . ويقع هذا الجزء في مجلدين ضخمين مجموع صفحاتهما ١٦٣٠ صفحة، وقد نشرته الجامعة اللبنانية وتوزعه المكتبة الشرقية .

ويضم هذا الجزء نحوا من ٥٤٠ ترجمة أو دراسة لأعلام الفكر المعاصرين الراحلين في البلاد العربية ، تشتمل على ملخص مركز لسيرة كل منهم ، وثبت بالكتب التي صنفوها ، وبالدراسات التي كتبت عنهم سواء في كتب أو في فصول من كتب أو مقالات متناثرة في صحف العالم العربي . ناهيك بالفهارس المسهبة الملحقة بالكتاب والتي تجعل منه بأجزائه الثلاثة مرجعا فريدا لدراسة الأدب القديم والحديث .

* من المعاجم الحديثة التي صدرت أخيرا «المعجم الهندسي» للدكتور أنور محمود عبد الواحد وقد نشرته دار الشروق ، و «معجم اكسفورد انكليزي عربي» وقد صنفه البروفسير دوبناك وصدر في لندن ، والجزء الأول من «معجم شواهد العربية» وهو من تصنيف الأستاذ عبد السلام هارون ونشر مكتبة الخانجي .

* أصدر مجلس الدولة في دمشق باشراف رئيسه الفقيه الدكتور عدنان الخطيب عضو المجامع اللغوية العربية ٢١ مجلدا اشتملت على مجموعات المبادىء القانونية للمحكمة الادارية العليا ومحكمة القضاء الاداري والقسم الاستشاري وهي تضم الفتاوى والأحكام التي يعتد بها في القضاء الاداري .

* صدر للأديب الكويتي الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري كتاب ضخم عن «الشعر العربي بين العامية والفصحى» ، وهو يضم دراسات حول الشعر واللغة والشعر والفن التشكيلي والشعر العامي والشعر الغنائي والشعر العمودي ، كما يشتمل على دراسات عن بعض الشعراء المعاصرين . وقد طبع الكتاب في الكويت .

كذلك صدر للناقد الكبير الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي كتاب كبير عنوانه «دراسات نقدية» فيه طائفة من بحوثه النقدية للأديب المعاصر . وقد نشرت الكتاب الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* أصدرت وزارة الأوقاف المصرية . مختارات من شعر الشاعر الكبير محمود أبي الوفا بعنوان «شعري» وقدم لها فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الجامع الأزهر . والديوان يضم منتخبات من قديم شعر أبي الوفا وجديده .

ومن الدواوين الجديدة التي صدرت ديوان «قصة المتنبي» للشاعر السوري الأستاذ أحمد الجندي ، وقد روى فيه الشاعر سيرة المتنبي شعرا . وصدر الديوان عن وزارة الاعلام العراقية . كما صدر ديوان «أمواج السويس» لطائفة من شعراء هذه المدينة ، وقد نشرته مكتبة الأنجلو المصرية وديوان «مصر لم تنم» للأستاذ فتحي سعيد وقد صدر عن مجلة الجديد .

* صدر عدد خاص ضخم مصور من مجلة «الحوليات الأثرية العربية السورية» بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي التاسع للآثار الكلاسيكية لبحث موضوع «الشرق واليونان وروما» ويتضمن هذا السجل الكبير دراسات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، كما يتضمن مجموعة نادرة من صور الآثار مطبوعة طبعا فاخرا .

وتصدر هذه المجلة عن المديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية برئاسة الدكتور عفيف البهنسي المدير العام للآثار والمتاحف .

* صدرت في طهران عن ديوان الأوقاف مجلة جديدة باللغة العربية بعنوان «المعارف الاسلامية» .

* ومن الكتب الدينية الجديدة التي ظهرت مؤخرا هذه الطائفة : «مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف» للأستاذ عبد البديع صقر ونشر المكتب الاسلامي ببيروت ، و «الشخصية الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الاسلامية» للدكتور محمد كامل ياقوت ونشر عالم الكتب ، و «الفكر الاسلامي مواجهة حضارية» للأستاذ محمد تقي المدرس ونشر دار التربية للطباعة في بيروت ، و «حكمة الدين» للأستاذ وحيد الدين خان ونشر «المختار الاسلامي» ، و «الجهاد في ضوء الكتاب والسنة» للأستاذ حامد محمد علي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و «مع الرسول في المدينة المنورة» للدكتور عبد العزيز غنيم ونشر دار الاعتصام ، و «أسرار العبادات في الاسلام» للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ونشر دار النهضة الحديثة بيروت ، و «الحج والعمرة في القرآن والسنة» للأستاذ عثمان محمد زهدي ونشر دار الشعب .

* في السير والتراجم صدرت طائفة من الكتب الجديدة منها «الدكتور طه حسين قاهر الظلام» للأستاذ كمال الملاخ ونشر دار الكتاب الجديد ، و «شاعر الكرنك أحمد فتحي» للأستاذ صالح جودت ونشر دار الهلال ، و «رفاعه الطهطاوي في السودان» للدكتور أحمد أحمد سيد أحمد ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، و «ذو الرمة شاعر الطبيعة والحب» للأستاذ كيلاني حسن سند ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب و «سيف الله خالد ابن الوليد» للأستاذ عطية عبد الرحيم عطية ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و «الطرماح بن حكيم الطائي» للأستاذ عزمي الصالحي ونشر مطبعة الاقتصاد ببغداد ، و «أبو يوسف : حياته وآثاره الفقهية» للأستاذ محمود مطلوب ونشر جامعة بغداد .

* أصدر الأديب اللبناني الأستاذ عادل الأعور كتابا جديدا عنوانه «خطوات في الرمل» فيه فصول أدبية وقصائد من الشعر الحديث ، وقد أخرجته مطابع الديار ببيروت .

* «نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية : ١٨٧٣ - ١٨٨٢» عنوان كتاب جديد للأستاذ عبد العليم القباني صدر عن الهيئة المصرية العامة

للكتاب . كما صدر عن دار البيان في الكويت كتاب عن العلاقات العامة عنوانه «أسس العلاقات العامة والمجالات الرياضية والاجتماعية» من تأليف الأستاذ جلال عبد الوهاب .

* ومن كتب التراث الصادرة أخيرا : «بكاء الناس على الشباب وجزعهم من المشيب» لابن الجوزي وتحقيق الأستاذ هلال ناجي ونشر مطبعة الحكومة ببغداد ، و «معترك الأقران في اعجاز القرآن» للامام جلال الدين السيوطي وقد صدر قسمه الثالث بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي ونشر دار الفكر العربي ، و «شعر تأبط شرا» تحقيق الأستاذين سلمان داود القره غولي وجبار تعبان جاسم ونشر مطبعة الآداب بالنجف .

* في الأدب الروائي صدرت الروايات الآتية : «الدوامة» للأستاذ غبريال وهبه ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و «البحث عن النسيان» للأستاذ سعد حامد ونشر دار الهلال ، و «الضوء القاتل» لروبرت ديلون وراي رسل وترجمة الأستاذ صلاح طنطاوي ونشر دار الكتاب الجديد ، و «الأسوار» للأستاذ محمد جبريل ونشر الهيئـــة المصرية ، و «لغز كنز القاضي» للأستاذ محمد عبد الحميد الطرزي ونشر دار الصقر .

* كما صدرت مسرحيات منها «الجنينة» لادوار ألبي ، وترجمة الأستاذ جلال العشري ونشر مطبوعات مجلة الجديد ، و «البعد الخامس» للأستاذ أحمد رائف ونشر الدار العلمية ببيروت ، و «فتح الأندلس» للزعيم الراحل مصطفى كامل وتحقيق الأستاذ خيري شلبي ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و «الأرض كروية» لأرمان سالاكرو ، وترجمة الأستاذ عبد المسيـــح ستيتي ، ومراجعة الأستاذ مصطفى كامل فودة ، ونشر وزارة الاعلام الكويتية .

* نشرت مكتبة عالم الكتب بحثا عن الجرائم للدكتور العميد عبد العزيز حمدي عنوانه «البحث الفني في مجال الجريمة» ■

كُتُبٌ مُهْدَاة

حظيت مكتبة القافلة موءخراً بالموءلفات التالية :

* « رسائل في تاريخ المدينة » من كتب التراث في ٢٤٥ صفحة مع فهارسه ويحوي ست رسائل هي :

وصف المدينة المنورة ، والتحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي ، وسور المدينة الشريفة ، والوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، وحوادث تتعلق بالحجرة النبوية ، وبناء سور المدينة وأخيرا وضع الأهلة فوق القبة ومنائر الحرم المدني .

وهذا الكتاب هو السادس عشر من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر في سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب » ، وقد قدم له وأشرف على طبعه العلامة الأستاذ حمد الجاسر كما طبع بمطبعة المثنى ببيروت .

* الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية ، القسم الأول الشعر في شرق الجزيرة للدكتور عبدالله آل مبارك ، وهذا الكتاب يعد مرجعا هاما في هذا المجال لما احتواه من دراسة متأنية في هذا المجال ، وهو مقدم لمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية حيث قامت بنشره ، وهذا الكتاب أعده المؤلف على أثر دعوة وجهت من المعهد الى جامعة الرياض للمساهمة في الدراسة عن جزيرة العرب والتي يزمع المعهد اخراجها الى حيز الوجود .

* « محاضرات الموسم الثقافي ١٣٩٣ - ١٩٧٣ » صدر عن اللجنة الثقافية والفنية العامة بجامعة الرياض ، وهذا الكتاب يقع في ٤٠٥ صفحات ويحوي بين دفتيه ستة عشر بحثا ودراسة منها العلمية والأدبية ومنها التاريخية لعدد من الأساتذة . ومن بين الدراسات الدسمة التي احتواها الكتاب « التحديات المعاصرة للفكر الاسلامي » لسعادة الدكتور عبد العزيز الفدا مدير الجامعة و « تسويق منتوجات الأحساء الزراعية » للدكتور عبد الله الثنيان ، و « الأدب العربي بين الآداب العالمية » للدكتور شكري محمد عياد و « دور المكروبات في تسمم الأغذية » للدكتور ابراهيم عبد الكريم الصويغ و « العمارة في الاسلام » للدكتور فريد شافعي ، وقد طبع بالمطابع الأهلية للأفست بالرياض .

* « تحية وذكرى الدكتور المحاسني » بأقلام من عرفوه من أعلام الفكر والأدب صدر هذا الكتاب في دمشق لمرور عام على وفاة المرحوم المحاسني تقديرا واعترافا بجهوده الفكرية التي أسداها للتراث العربي .

* قائمة مطبوعات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، وهذه القائمة تحوي نبذة عن تاريخ انشاء الدار والغاية من انشائها ، ويجد القارىء أن هذه الدار قد ركزت نشاطها على التراث المتعلق بالجزيرة العربية من الناحية التاريخية والجغرافية والأدبية ، وقد قسم عمل الدار في هذه القائمة الى أربعة أقسام هي :

١ - اصدار ١٦ كتابا في سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية وأدبية عن جزيرة العرب » ونجد أن هناك ١٢ كتابا معدا للطبع .
٢ - اصدار ٧ مجلدات من مجلة العرب الصادرة عن الدار .
٣ - مطبوعات متنوعة .
٤ - اشراف الدار على طبع عشرة كتب لمؤلفيها ■

قصة قصيرة

العجوز وشجرة التوت



بقلم: الأستاذ عبد العال الحمامصي

قررنا جميعاً نحن غلمان « شارع القبة » أن نتخلف يومها عن « كتّاب الشيخ بكر » . وأن نقضي يومنا بجوار « عم رشوان » عند شجرة التوت . . فلا أحد فينا قد حفظ المقرر عليه تسميعه للشيخ من آيات القرآن . . كلنا سهرنا الليل في عرس لأحد الجيران ، ونسينا في غمرة الأهازيج والأناشيد ، وارتشاف أكواب « القرفة » أن « فلكة » الشيخ تنتظرنا غداً ! ! في الصباح عندما تجمعنا في نهاية الشارع تذكرنا هذا . . واكتشفنا أننا لم نحفظ الآيات فحسب . . بل نسينا كذلك أن نحضر معنا « الصرافة » وهي الأجر الأسبوعي الرمزي الذي يتقاضاه منا الشيخ صباح يوم الاثنين نظير تحفيظنا القرآن .

فكرنا في المسألة فوجدنا أن التغيب أسلم حل لنا . . سوف نقضي يومنا بجوار « عم رشوان » صديقنا العجوز ، صاحب شجرة التوت ، نرتع بجوار المستنقع قرب كوخه ونتسلق الشجرة حتى يحين موعد عودتنا إلى البيوت . وفي الصباح يحضر كل منّا الأجر الاسبوعي معه وينتحل للشيخ عن غياب الامس عذراً وربما ينسيه احضارنا الأجر ، مسألة الغياب فتنجو أرجلنا من عصاه الخيزران .

وعندما اقتربنا من جامع « سيدي كمال الدين » حيث يقع « كتاب » شيخنا تحت قبته . . سمعنا بائع الخضراوات يحدث حفيده الصغير بقوله :

— (بالتأكيد عمك رشوان اصابت عقله اليوم لوثة يا مخلوف .)

لم نعلق على هذا الحديث أهمية . فتصرفات « عم رشوان » دائماً تكون مثار الأقاويل . اعتقدنا ان معركة ربما تكون قد نشبت بينه وبين أحد زبائنه كما يحدث غالباً في أي خلاف يقع حول ثمن « مقطف » من سعف النخيل أو عدد من الحبال التي يجدّلها من الألياف أيضاً . . فقد كانت تلك هي صناعته التي يحذقها باتقان ومهارة . . ورغم شذوذ طباعه وسلاطة لسانه وضيق صدره بأي مساومة من زبائنه حول تقديراته التي لا يتنازل عنها أبداً ، رغم هذا كان الناس يتعاملون معه ، خصوصاً في مواسم المحاصيل الزراعية حيث تروج بضاعته التي لا يجيدها الا قلة أغلبهم من العجائز . العم رشوان هو أمهرهم بالتأكيد .

وعندما اقتربنا من كوخه ، هالنا أن نجده غاضباً . زائغ النظرات يرتجف شاربه الكث الأشيب . وينتفض جسده النحيل . ومع انتفاضاته تهتز الشعيرات البيضاء في صدره المكشوف من خلال فتحة في ثوبه الذي لم نره يغيره أبداً ، كأنما ولد به وأزمع أن يغادر الدنيا به أيضاً . . ثم استبدت بنا الدهشة عندما وجدناه يجمع الأحجار وانصاف الطوب من تحت جدران ميضأة الجامع ، « يكومها » تحت شجرة التوت دون أن يجيب عن سؤال يبتدره به عابرو الطريق الا بنظرات مليئة بالغضب لصاحب السؤال . . ولكل شيء .

نظرنا إلى بعضنا في دهشة . ومن خلال صمتنا المرتاب ، خطر لنا بأن العجوز ربما يكون قد جمع الأحجار من أجلنا نحن ، ليصدنا عن شجرة التوت . . خطر لنا هذا . . ولكن لماذا . . والمودة بيننا وطيدة . والعجوز يحبنا جميعاً وأكثر لحظات حياته انبساطاً تلك التي نكون فيها بقربه . . ولكن لمَ يجمع الأحجار ان لم يكن ليقذفنا بها . ؟



ولكن «حسان» زميلنا الصغير . لم يوافقنا على اندفاعنا وتسرعنا في اتهام العجوز . فربما يكون جمع الأحجار في مسألة لا تخصنا . فالعم رشوان رغم شذوذ تصرفاته مع الناس ، وحتى مع نفسه ، طيب القلب ويعزنا نحن غلمان كتاب الشيخ بكر ، ويخصنا بكل أسراره . ولا يجد من يحدثه عن ماضيه غيرنا عندما كان «شيخ منسر» ترهبه المدينة لولا أن تاب الله عليه على يد واعظ البلدة . ومن يومها وهو يأكل لقمته بعرق جبينه . حقاً انه يحب شجرة التوت حباً يكاد لا يصدق والويل لمن تحدثه نفسه بأن يقترب منها أو يتسلقها .. أو أن يجمع حتى ما تسقطه الريح من ثمارها .. ولكنه أبداً لم يصدنا نحن غلمان كتاب الشيخ بكر عن شجرته .. كان يتركنا نلعب بجوارها ونتسلقها . وهو يجدل الألياف وضفائر السعف ويغني أراجيزه . وكثيراً ما كان يجمع لنا الثمار بنفسه ، ويوزعها علينا فنتخاطفها منه في مرح وابتهاج ونحن نتعارك ونتجاذبه ويحاول كل منا أن يأخذ منه أكبر نصيب ، وهو يقهقه في دهشة وسرور .

وذكّرنا حسان بهذا ، وطلب منا أن نتريث في اتهام العجوز بالغدر . . وخطونا نحوه جماعة . كان ما زال محتقن الوجه ، حانق النظرات ، ينتفض جسده ، وهو يجمع الأحجار ويخاطب نفسه دون ان يلتفت إلينا . وهو يهذي بكلام غريب عن شجرة التوت وان الذي سيقترب منها ستكون على يديه نهايته . . ان كان المهندس . أو المأمور ، أو العمدة ، أو حتى البلد كلها . . ولم نفهم شيئاً مما يقصده . وغمرتنا الدهشة جميعاً . . ماذا حدث للعم رشوان ؟ ؟ ؟

ثم كف العجوز عن التقاط الطوب وتوقف يلهث بشدة ، وهو يستجدي أنفاس الهواء وعرفنا أن نوبة « الربو » داهمته كالعادة . وانطلقنا نحوه ، فقد تبدد خوفنا منه أمام آلامه . . ولكن نداء شيخنا الذي صك مسامعنا في تلك اللحظة أعاد خطواتنا الى الخلف من جديد . . ووجدنا « الفلكة » في انتظارنا . وعدنا بعد العصر إلى البيوت متورمة أرجلنا ، ونسينا حكاية العجوز . ولكننا فوجئنا بها على كل لسان . .

بالأمس جاء العمدة ومعه مهندس المجلس البلدي ورجال المساحة لمعاينة قطعة الأرض التي يقيم عليها العم رشوان كوخه والأرض التي بجوارها ، حيث تقرر أن تقام عليها مدرسة جديدة .

ووجدنا الناس يتندرون بما حدث بين اللجنة من جهة وبين العم رشوان من جهة أخرى . طلب منه العمدة أن يوقع على اقرار باخلاء الأرض وأجابه « رشوان » بأن قطع يده أرحم من أن يبصم على الاقرار . . فاين يذهب الآن في آخر عمره ؟ وعندما قال العمدة بأن هذه أوامر الحكومة . . أجابه « رشوان » بأن الأرض أعطتها له الحكومة نفسها ، فما الذي جعلها تطلب استردادها؟ وعندما استغرب المهندس اجابته ، حكى له القصة من بدايتها . . كيف كان شريراً ترهبه الشياطين نفسها . . ثم تاب وأقلع عن السطو والسرقة . . ومأمور المركز ذاته أيامها هو الذي أعطاه قطعة الأرض هذه من أوقاف « سيدي كمال الدين » تقديراً لتوبته عن ازعاج الأمن . . انه لم يغتصبها . . الحكومة أعطتها له برضاها . . والآن وقد أصبح عجوزاً لا حول له ولا قوة يريدون استردادها منه . لقد كان مصمماً على مقاومة من تشاوره نفسه بالاقتراب من الشجرة والكوخ .

وطفق العمدة يناقشه ويحاول اقناعه بان يوقع على الاقرار برضائه . . فلا فائدة من العناد . . ستأتي قوة من « المركز » لتخرجه من الأرض برغمه . . ثم ان المدرسة من مصلحة البلدة كلها . . فهل يواجه مدينة بأسرها ويقف في وجه مصلحتها ؟ . .

وأجابه العجوز بأن مواجهة المدينة ليس شيئاً جديداً عليه . . لقد « دوخها » زمنا وليست رجولة منها أن تأخذ بثأرها بعدما أحنت الشيخوخة والمرض ظهره إلى الأرض . .

وضاقت اللجنة بعناده ولجاجته بعد أن استظرفت الأمر في البداية فأنذرته بأن قوة من الشرطة ستأتي بعد غد لتضع يدها على الأرض ، وتردم المستنقع وتزيل الكوخ والشجرة . . هذا ما سمعناه من أفـــواه الكبار في شارعنـــا وأحس كل منا بالألم من أجل الرجل العجوز . الفرحة التي كانت في عيون الكبار بالمدرسة كانت غماً في قلوبنا نحن . ان شجرة التوت والكوخ والمستنقع أشياء لا تخص العجوز وحده . . شجرة التوت بالذات تخصنا نحن أكثر منه . . لنا معها ذكريات . . كنا نتواعد عندها لنتشاور في أمور كثيرة . . أو عندما نقرر أن ندخل في خناقة مع غلمان الأحياء الأخرى . . والعم رشوان . كيف يمكن أن تختفي الشجرة من حياته « انها حبيبته التي خرج بها من الدنيا كما قال لنا . . كانت حبيبته فعلاً » . . كنا نشاهده يربت على جذعها . وينفض بملائته التراب عن أغصانها . بل كنا نراه أحياناً يحدثها ويسر اليها بكلام لا نفهمه » . .

وكان « عريفنا » الضرير الذي ينوب عن شيخنا في تسميع القرآن يقول لنا بأن الشجرة ليست شجرة في الحقيقة انها « جنيّة » عشقت العم رشوان وتقمصت شكل الشجرة وكان بعضنا يصدق هذا . . فالشجرة لم تهرم أبداً كغيرها من الأشجار . وفي الشتاء لا تتعرى أغصانها من الأوراق مثل كل الأشجار ، كما أن ثمارها غير الثمار الأخرى . ان فيها مـــذاق عسل النحل فلا بد أن « الجنيّة » هي التي تضع الحلاوة في ثمارها .

تداولنا في المسألة وقررنا أن نقف الى جانب العجوز في قضيته مع اللجنة غداً . . سنقف بجواره . . لقد جمع الأحجار استعداداً للغد . . ولن نتركه وحده . . سوف ترى البلدة أن للعجوز ظهراً يحميه . . وحاولنا أن نلعب كعادتنا ولكن هماً ثقيلاً كان يجثم فوق قلب كل واحد منا . . فلم نستمتع بألعابنا . . وحتى حكايات « عميرة » بائع القصب لم نجد فيها الطلاوة التي كانت تبهرنا ، ونمنا وفي حلق كل منا غصة .

وفي الصباح تجمعنا في نهاية شارعنا . . وأكد كل منا للآخر بأنه لن يخون الوعد للوقوف الى جانب العم رشوان . . وذهبنا إلى هناك وكل منا قد عبّأ جيبه بالطوب . . ولكن العجوز رفض معونتنا . . أبعد أن كان العم رشوان في شبابه يتزعم عصابة من الرجال . . يقود الآن في آخر زمانه فرقة من الأطفال ؟ . ثم اننا سنجلب لأهلنا مشاكل مع اللجنة . . فعلاً . . تذكرنا هذا . . الأفضل أن نقف على الحياد . . وقلوبنا مع العجوز . . ونرقب المعركة من بعيد . .

وما أن رأى العم رشوان موكب العمال بمقاطفهم وفؤوسهم . يهبطون من عربة يتقدمهم الملاحظ حتى جن جنونه واندفع يقذفهم بالطوب ، والملاحظ يناشده أن يرعوي ويقلع عن جنونه بلا جدوى . . كان قد فقد عقله تماماً ، وأخذ العمال يهرولون هنا وهناك تفادياً لأحجاره . . بعضهم يتوعده بأن يقصف رقبته . . والبعض يقهقه ساخراً . . والكل يجري هنا وهناك . . وعندما انفض تجمع العمال . . وتفرقوا وحدانا في كل اتجاه . . طاشت يد العجوز وانهالت بالطوب شرقاً وغرباً . . وعيناه يتطاير الشرر منهما وحلقه يقذف زبداً أبيض يتناثر فوق ثوبه . . وصدره ينخفض ويرتفع مثل كير الحداد وما زال يقذف الطوب بكلتا يديه وكأنما يرجم المدينة كلها . . ومن فمه تنثال الشتائم . . لا نعرف لمن يوجهها . والمارة والعمال يطلقون قهقهاتهم من بعيد . .

ثم خارت قواه . . ولهثت أنفاسه . . وتوقف يسعل في البداية . . ثم مد يده يسند قلبه . . ولكنه فقد توازنه فارتمى فوق الأرض منهاراً . . وقد احتقن وجهه وجحظت عيناه . كانت أزمة « الربو » قد عاودته واغتنم العمال الفرصة فأعملوا فؤوسهم في شجرة التوت .

واقتربنا نحن الغلمان منه . . فنظر إلينا بحزن وهو يحاول أن يغتصب من الهواء أنفاساً لصدره المختنق . . رأينا الحياة تنضب من عينيه ثم أغمضهما عندما سمع الفؤوس تهوي في جذع الشجرة عنيفة متوالية . . وفي اللحظة نفسها التي ترنحت فيها الشجرة ، ترنحت أجفانه . . وعندما مادت وتهاوت إلى الأرض ، كان العجوز قد لفظ أنفاسه الأخيرة . . ■

عبد العال الحمامصي — القاهرة

القَارَاتْ

وَصِلاتُ عَضَل وَالدِّيش بِهُذَيْل وَبَني زُهْرَة

بقلم: الأستاذ أمين مدني

مازال البعض من الأصدقاء يسألني : إيضاحاً أكثر عما جاء في ملاحظات الأستاذ الكريم الشيخ « حمد الجاسر » فيما افترضته في تسمية « دار القراء » ، وأنها قد تكون في الأصل : « دار القارة » او « دار القرّاء » كما هو أصح في الفصل الخامس من الجزء الثاني من كتاب « العرب في أحقاب التاريخ » بعنوان : « التاريخ العربي ومصادره » حيث ان لكل جزء موضوعاً خاصاً به .

وما زلت أصرف انتباههم إلى ما نشرته في جريدة « المدينة المنورة » اليومية عدد ٢٦٤٧ وتاريخ ١٣٩٢/١١/١٤ ، وعدد ٢٦٥٣ وتاريخ ١٣٩٢/١١/٢١ — رداً على ما قاله الأستاذ الجاسر في ملاحظاته التي نشرها في مجلة « العرب » الشهرية عدد رمضان ١٣٩٢ والتي منها : « وكلما ذكر عن نسب ابن مسعود وصلته بالقارة خطأ صريح ، وعلى هذا ينهار ما حاول الأستاذ : ان يعلل به اسم « دار القُراء » بأنها « دار القارة » القبيلة التي حالف بعض أفرادها بني زهرة » .

ولكنهم يعودون فيقولون : انني لم أوضح كل ما يجب إيضاحه عن صلة نسب « عبدالله ابن مسعود الهذلي » بنسب « القارة » تلك الصلة التي نفاها الأستاذ الجاسر ، فهم لم يقتنعوا بالفارق الواضح بين ما جاء في ملاحظة الأستاذ الجاسر : « ان يعلل به اسم دار القراء بأنها دار القارة القبيلة التي حالف بعض أفرادها بني زهرة ، وبين ما جاء في الكتاب مفصلاً : فالذي يبدو مما جاء في هذه الأقوال والملحوظات التي حرصنا على أن نحيط القاريء بها علماً ليستنتج معنا : ان « دار القُراء » صحف ، وان التصحيف : إما أن يكون قد وقع في اسم القارة الذي كان يقال لـ « ابن عبد » كما كان يقال للزهريين الذين جاوروهم « عبد الله بن مسعود » : « ابن عبد » . واما أن يكون التصحيف وقع في قراءة كلمة « القراء » بفتح القاف صيغة مبالغة لقاريء ، وأن تكون دور بني زهرة الذين يقال لهم : « ابن عبد » سميت جميعها باسم القراء — « عبد الله بن مسعود » .

ولهؤلاء الأصدقاء الحق فيما يسألون عنه ، فلقد انصرف اكثر تعليقي على ملاحظات « العرب » إلى مـا قاله الأستاذ الجاسر عن « ابن خذام » وان صوابه : « ابن حزام » وان ديوان هذا الشاعر الذي نوه به « امروء القيس » مطبوع ! ! وإلى ما قاله عن كتاب « الأخبار الطوال » وانه قد يكون لغير « الدينوري » وإلى ما قاله عن « العروض » أحد أقسام الجزيرة العربية في تقويم البلدان عند العرب ، وعن قبر « ابن شهاب الزهري » وأين كان مثوى ذلك العالم الجليل ؟ إلى كل ما جاء في ملاحظات الأستاذ الفاضل مما لا تقره النصوص التي اطلعت عليها . فابن « خذام » الشاعر الجاهلي القديم الذي تحدث عنه. « أمروء القيس » لم يحفظ له شعر ولم يطبع له ديوان . وكتاب « الأخبار الطوال » لم يعرف له مؤلف غير « الدينوري » — بالاضافة إلى الملاحظات التي نشرت في مجلة « العرب » عدد رمضان ، والتي علقت عليها في عددي المدينة كما أشرت إلى ذلك آنفاً .

فما دام الحق مع هؤلاء الأصدقاء لا بد لي من الحديث عن نسب « عبدالله بن مسعود الهذلي » وصلته بالقارة . والبحث في صلة نسب « هذيل » بالقارة يكشف عن اواصر نسب ،

وواشجة جوار ، وصلات تاريخية بين « هذيل » وبين القارة أشار إليها غير واحد من المؤرخين ومدوني الأنساب .

فنزولاً على رغبة هؤلاء الأصدقاء — أوضح في هذه الكلمة : حقيقة « القارة » وصلاتها بـ « هذيل » و « ببني زهرة » وقبل ذلك فانني لن أتناول النصوص التي ذكرت الدار التي نزلها « ابن أم كلثوم » عند قدومه مهاجراً إلى المدينة وعما جاء في تلك النصوص مما يزيد الشك المغيم على حقيقة « دار القراء » — فأنا لا أرى لزوماً لاعادة ما قلته في كتاب « العرب في أحقاب التاريخ » وما نشرته في جريدة المدينة الغراء . بل سأتناول الموضوع من مصادره مباشرة في النقاط التالية :

أولاً : القارة - إسم أمكنة

القارة في تقويم البلدان ومعاجم اللغة ، وفي مؤلفات المؤرخين ومعاجم الأنساب : صفات مختلفة الألوان والأشكال لأمكنة كثيرة متناثرة في شبه جزيرة العرب — فالقارة : المنخفض من الأرض ، والقارة : أصاغر الجبال ، ويقول « ابن شميل » : القارة — جبل مستدق ململوم طويل عظيم مستدير ، والقارة : الصخرة العظيمة ، والقارة : الصخرة السوداء . والقارة : الاكمة ، والقارة : الحرة — وهي الأرض ذات الحجارة السوداء (١)

والقارة في تلك المؤلفات والمعاجم : اسم لأماكن معروفة — فقارة : اسم قرية كبيرة في آخر حدود « حمص » بها عيون جارية يزرعون عليها ، وقال « ابو المنذر » : القارة : جبل بنته العجم بالقفر والقير — فيما بين « الأطيط » و « الشبعاء » في فلاة من الأرض واياه أريد بقولهم في المثل : « قد انصف القارة من راماها » .

ويقول « ياقوت الحموي » وهذا أعجب ! ! في كتاب « صفة جزيرة العرب » : قارة بلعنبر ، وهي مجهلة ، قال شاعرهم :

انـــا بنينا قـــارة وسط الفقي
من الدبابيب ومن سحّ المطي

و « قارة الحازمي » — وهي دون قارة بلعنبر . و « القارة لهمدان » وهي : قرية عظيمة في وسطها حصن و « قارة الأشبا » وهي لكندة — والقارة : جبل بالبحرين .

ويقول « ابن بليهد » في صحيح الأخبار : وهذا الجبل في مقاطعة الاحساء ما زال يسمى : « القارة » ، وان في هذا الجبل — كهوفاً من العجائب — ففي فصل الشتاء يسخن باطنها وفي فصل الصيف يبرد ! ! وفي « تاج العروس » : القارة : قرية بالبحرين و « حصن » قرب « دومة الجندل » وجبيل بين « الأطيط » و « الشبعاء » . وجاء في « معجم ياقوت » : والقارة — احد القرى التي منها : « دومة » و « سكاكة » على جبل بها حصن .

وجاء في تفسير « النيسابوري » : قارة موضع بالمدينة — إليه نسب « يزيد بن القعقاع القاري » . وقارة قرية من « الرى » ، يقول « السيد الزبيدي » : اليها نسب العالم اللغوي « صالح بن شعيب القاري » وقيل : انه من القارة حلفاء بني زهرة (٢) .

ثانياً : القارة - إسم قبيلة

والقارة : اسم أطلقه بعض المؤرخين والنسابين على أبناء « الهون » بن « خزيمة » من « مدركة » مثل : « اليعقوبي » و « المفضل الضبي » و « ابن الكلبي » وغيرهم فيقول الجوهري : « عضل بن الهون بن خزيمة — أخو الديش وهما القارة » . واقتصر غيرهم — مثل : القلقشندي على « الديش بن محلم بن غالب ابن عائذة بن يتبع بن مليح بن الهون بن خزيمة ابن مدركة » . وجاء في « معجم قبائل العرب » عن السمعاني : يتبع — بطن من الهون — يقال لهم : القارة ويقول ابو عبيدة في الأغاني : القارة — هو أتبع بن الهون ، وعضل بن دمس ابن محلم بن عائذ بن أتبع بن الهون (٣) .

ويبدو على ما جاء في « الطبقات الكبرى » وفي « تاريخ الرسائل والملوك » وفي « أغاني الأصفهاني » : اختصار القارة على « الديش » ، فابن سعد ، وابن جرير ، وابو الفرج يقولون : عضل والقارة — بينما « ابن دريد » يجعل القارة » أخاً لـ « الديش وعضل » فيقول في « الاشتقاق » : عضل والديش والقارة — اخوة هذيل ، وفي « المعارف » لابن قتيبة : القارة — ابن « الهون » — وفي « لسان العرب » : الهون أخو القارة (٤) .

ولقد وهم ابن خلدون في تاريخه عندما قال : اما « القارة » و « عكل » فهم أبناء « الهون » . فعكل : اسم قبيلة تنسب لطابخة ابن الياس بن مضر ، و « عكل » اسم امرأة حضنت بني عوف بن وائل بن عبد مناة بن إدّ بن طابخة فسموا باسمها (٥) .

ولقد كثرت الأقوال في سبب هذه التسمية — فيقول « اليعقوبي » : انما سموا القارة لأن بني كنانة لما خرج بنو أسد بن خزيمة من تهامة وخالفوا كنانة وضموا القليل إلى الكثير جعلوا بني الهون بن خزيمة قارة (٦) بينهم . ويقال : انما سموا القارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد « ابن الشداخ » ان يفرقهم في بني كنانة في رواية « ابن الكلبي » . وفي رواية أخرى ان « غوث بن كعب » هو الذي أراد ان يفرقهم في بطون كنانة — فقال شاعرهم :

دعـــونا قـــارة لا تنفـرونـــا
فنجفــل مثل اجفــال الظليم

وقد ضبطت في لسان العرب في مادة « قور » كلمة دعونا بفتح العين وتسكين الواو ، والصحيح ضم العين والواو « دَعُونا » كما ضبطت في لسان العرب نفسه في مادة « هون » ،

دعونا قـــارة لا تـذعـــرونـــا
فنجفل مثلما جفـــــل الظليم

وفي « تاج العروس » :

ذرونـــا قـــارة لا تذعـــرونا
فنبتك القـــرابة والذمـــام (٧)

(١) لسان العرب وتاج العروس ومعجم البلدان مادة«قور» ومادة «قارة»» . (٢) معجم ياقوت مادة «قارة صفة جزيرة العرب ص ٨٦ و ١٤٢ ولسان العرب وتاج العروس مادة «قور» و «قارة» وصحيح الأخبار ٤/١٦٤ . (٣) تاج العروس ولسان العرب مادة «قور» و «قارة» و «عضل» و «ديش» وتاريخ اليعقوبي ١/٢٦٥ ونهاية الأرب ص ١٥٥ ومعجم قبائل العرب لكحاله ٣/١٢٦٠ والمعارف ص ٦٥ والأغاني ٢٢/٦٦«٥» الطبقات ٢/٥٥ والأغاني ٤/٢٨٨ الطبري ٢/٥٣٨ (٤) الاشتقاق ص ١٧٨ المعارف ص ٦٥ اللسان مادة «هون» (٥) تاريخ ابن خلدون ٢/١٣٩ طبع المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٥ هـ ومعجم القبائل لكحاله مادة «عكل» (٦) تاريخ اليعقوبي ١/٢٦٥. (٧) لسان العرب وتاج العروس مواد قور وقارة وهون .

والقارة : قوم رماة من العرب ولقد جرى قول شاعرهم (٨) مثلاً :

قد علمت سلمى ومن والاها
انا نرد الخيل عن هواها
نردها رامية كلاها
قد انصف القارة من راماها
انا اذا ما فئة نلقاها
نرد أولاها على أخراها

وقيل القارة في هذا المثل : «الدبّة» ويبدو من أقوال بعضهم : ان الاسم في الأصل : اسم رجل – فيقول « ابن قتيبة » : القارة بن الهون . ويقول « ابن منظور » : الهون أخو القارة . ويقول « ابو طالب » في لسان العرب : الهون جميعاً أبناء خزيمة بن مدركة بن ذات القارة – اتبغ بن الهون بن خزيمة .

ويقول « اليعقوبي » : وقبائل بني الهون – عضل وديش . وأما الحكم بن الهون فانه صار إلى اليمن فحل بلاد « مذحج » ونسب ولده إلى الحكم بن سعد العشيرة ، ويقول « ابن منظور » : ومنهم من نسب إلى « أسد » (٩) .

ونحن اذا ما ناقشنا هذه الأسباب – نجد قصة « ابن الشداخ » وهو : « يعمر بن عوف » – التي جاء فيها : انه لما اراد ان يفرق ابناء الهون – قالوا له دعونا قارة فسموا لذلك : القارة : بعيدة الاحتمال . فالشداخ كان معاصراً لقصي و « قصي بن كلاب – في تسلسل الأنساب : في طبقة « ديش » ، فعلى ذلك لم يكن « الديش » في جيل « الشداخ » أو « ابن الشداخ » جد قبيلة ، بل لعله كان رب اسرة ، ولقد مر بنا تسلسل نسب الديش فيما نقلناه من « نهاية الارب » : الديش بن محلم بن غالب بن عائذة – اما « عضل » فيقول عنه القلقشندي : « عضل بن الهون » وتبعه « كحالة » فقال : « عضل بن الهون بن خزيمة بن مدركة » . وجاء في الأغاني عن « أبي عبيدة » : عضل ابن دمس بن محلم بن عائذة بن اتبع بن الهون(١٠) . وهذا الاختلاف في تسلسل النسب نشأ من اختلاف وجهة نظر المؤرخين والنسابين – فبعضهم ينسب إلى الأب وبعضهم ينسب إلى الجد الأدنى وبعضهم إلى الجد الأعلى – وكل ذلك تجيزه القواعد التي بني عليها علم الأنساب . ولقد مر بنا ما نقله مؤلف الأغاني عن « أبي عبيدة » : ان القارة هو « أتبغ » . فابو عبيدة تجاهل « الديش » بينما الكثير من المؤرخين يقولون : القارة – ديش وعضل .

واختلاف وجهة نظر المؤرخين – مع ما له من مبررات تنبعث من تطور الدراسات واتساع آفاقها ما زال يثير حول الكثير من قضايا التاريخ وغوامض الأخبار شكوكاً تجعل من العسير على الكثيرين رؤية الحقائق من جميع جوانبها .

ونجد : تسمية القارة باسم الحرة السوداء ، أو الأرض المنخفضة ، أو أصاغر الجبال : وهذه بعيدة الاحتمال ، فهذه الأماكن مشاعة ، ولم يذكر أحد من المحققين : ان قبيلة القارة التي نتحدث عنها سميت باسم قرية من القرى التي مر ذكرها .

اذن ليس أمامنا غير ما جاء في أقوال بعض المؤرخين والنسابين عن القارة وانه واحد من آباء القبائل – قيل عنه : انه « ابن الهون » وقيل عنه : انه « أخو الهون » . وانفرد لسان العرب برواية « أبي طالب » : والهون جميعاً : ابن خزيمة ابن مدركة بن ذات القارة فما جاء في هذه الأقوال يوحي : ان اسم القارة ظهر من قبل « الشداخ » بكثير – ولعله كما يقول « ابو طالب » اسم أطلق على « مدركة » فقيل عنه : « مدركة ابن ذات القارة» – على ان أبا طالب وان لم يوضح لنا شيئاً عن ذات « القارة » هل هي أمه أو غير ذلك ؟ كما وضح « الحفصي » « يوم قارة » فقال عنه : انه يوم من أيام العرب ، والمؤرخون جميعهم يتحدثون عن « يوم ذي قار » على انه يوم من أيام العرب مع الفرس – فهذه الرواية تعود باسم القارة إلى « مدركة » ، ومدركة هو : ابو « هذيل » و « خزيمة » ، هو ابو « الهون » (١١) .

وكذلك يستشف من قول أبي طالب : « مدركة بن ذات القارة اتبغ بن الهون بن خزيمة » ان اسم القارة اقتصره المؤرخون أخيراً على أبناء « يتبغ » ولعل هذا هو الذي جعل « أبا عبيدة » يقول : « القارة هو : اتبغ بن الهون بن خزيمه » .

فمما يبدو للباحث من الأقوال الواردة في القارة ، ان هذا الأسم لم يقتصر على « الديش ، وعضل » كما هو شائع في كتب التاريخ الا بعد عصر « قصي » و « الشداخ » بزمن صار فيه أبناء « الديش وعضل » قبيلة اختصت باسم – « القارة » .

ومما جاء في كتب الأنساب واللغة عن اسماء القبائل وتشعبها عرفنا : ان ابناء مدركة كغيرهم ، يتشعبون إلى بطون منها : هذيل وخزيمة . وهما بدورهما يتشعبان إلى بطون منها : عضل والديش ولحيان وكاهل . وان اسماء القبائل قد اشتق بعضها من مناسبات عارضة مثل : طابخة ومدركة وخندف . . الخ . وإلى هذه الأسماء نسبت القبائل والأفراد كما نسبت بعض القبائل والأفراد إلى الأمكنه مثل « غسان » ومثل : القاريين الذين نسبوا إلى « قارة حمص » و « قارة الري » و « قارة المدينة » ومثل : خزاعة وغيرها .

وكما ينسب الفرد إلى ما نسبت اليه القبيلة : جداً – مثل : عدنان . او موضعاً – مثل غسان ، او حدثاً – مثل : خزاعة – ينسب الفرد وينسب بنوه إلى حلفائه ومواليه – فقد قيل عن « خباب بن الارت » انه تميمي بالحلف وخزاعي بالولاء وزهري بالنسب . وجاء في سيرة « ابن هشام » : ان « ضرار بن الأزور الأسدي » قال للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، عندما سمعه يقول : « خير فارس في العرب – عكاشة بن محصن » ذاك منا يا رسول الله . قال ، صلى الله عليه وسلم : « ليس منكم ولكنه منا للحلف » . والذين ترجموا « سليمان بن طرخان » مولى « عمرو ابن مرة بن عباد – من ضبيعة » قالوا : نسب « سليمان بن طرخان » إلى « بني تيم » لأن منزله فيهم (١٢) .

(٨) لسان العرب مادة قور . (٩) سيرة بن هشام ١/٢٥٥ والمعارف ص ٦٥ ولسان العرب مادة «هون» ومادة «قور» وتاريخ اليعقوبي ١/٢٦٥
(١٠) مع الأغاني ٢٢/٦٦ (١١) لسان العرب مادة «هون» – ولعل «ابن منظور » نقل الرواية التي انفرد بها لسان العرب عن أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الذي استدرك على الخليل في كتاب العين والذي ترك للمكتبة العربية في عصره تسعة عشر مؤلفا منها : «كتاب جماهير القبائل» . (١٢) سيرة ابن هشام ١/٦٣٨ و ٦٨١ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٥ .

ثالثاً : منازل القارة

ومنازل « عضل والديش » بعد ان نزحت « خزيمة » من مكة — تقع في تهامة . ففي الطبقات : وكان أول من نزل من « مضر » مكة — خزيمة بن مدركة — وهو الذي وضع لهبل الصنم موضعه فكان يقال له : صنم خزيمة. فلم يزل بنوه بمكة حتى ورث ذلك « فهر بن مالك » فخرجت بنو « أسد » ومن كان من كنانة بها فنزلوا منازلهم اليوم » . وجاء في « الطبقات » عن منازل القارة — « وكتب النبي صلى الله عليه وسلم ، لِجُمّاع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من « كنانة » و « مزينة » ، و « الحكم » و « القارة » ومن تبعهم من العبيد » على انني لم أجد في المصادر التي اطلعت عليها من ذكر : اسم مكان خاص بالقارة غير ما جاء في « الطبقات » وغير ما قيل عن اجتماع « القارة » مع « بني المصطلق » عند « حبشي » — وحبشي : موضع قيل انه جبل يقع بأسفل مكة على مسافة ستة أميال ، وقيل : ان حبشي — اسم موضع بأسفل مكة — وعن الحلف الذي عقد عند ذلك الجبل وعن الحلفاء الذين سموا باسم الجبل فقيل عنهم : « الأحابيش » ويقال : ان الحلف عقد في واد يسمى « أحبش » بمكة وبه سمي المتحالفون : الأحابيش . وغير ما قيل عن يوم « الرجع » وما قيل عن يوم الرجيع يستشف منه : ان منازل « عضل والديش » على مقربة من منازل هذيل (١٣) .

رابعاً : غلبة اسم القارة على الأحابيش

كما غطى اسم « القارة » : غالبية أبناء « مدركة » — غطى كذلك : المتحالفين مع القارة عند « حبشي » أو « أحبش » ، فالأحابيش كما يقول : « ابن اسحاق » و « ابو عبيدة » — هم : « بنو الحارث — نفاثة بن الديل » — وهؤلاء غير الدئل (١٤) — و « بنو عيان — المصطلق من خزاعة » و « القارة » (١٥) — ولكن « ابن منظور » يقول عن الأحابيش — هم : أحياء من القارة ويقول مرة ثانية : الأحابيش أحياء من القارة انضموا إلى « بني ليث » في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الاسلام واستشهد بقول الشاعر (١٦) :

ليث ، ديل وكعب والذي ظأرت
جمع الأحابيش لما احمرت الحدق

ولعل الذين قالوا : ان بني لحيان اشتركوا في حلف الأحابيش — يقصدون : « بني لحى ، فمن « عمرو بن لحى » : خزاعة ، ومنه تفرقت بطونها كما يقول « أبو عبيدة » ، و « بنو لحى — هم بنو المصطلق بن سعد بن عمرو بن لحى ، ويقول « فؤاد حمزه » عن خزاعة هذه : انها بقية من خزاعة تقيم حول مكة ، فبنو لحى هم غير « بني لحيان بن هذيل » وفي معجم كحالة : « بنو خزاعة بن سعد بن هذيل » فخزاعة هذه عدنانية (١٧) .

خامساً : صلة القارة بهذيل حقيقة لاشك فيها

تربط القارة بقبيلة هذيـــل روابط نسبية وجغرافية وخلقية — وجميعهم : قوم رماة . فصلة النسب : صلة وثيقة قال عنها « ابن دريد » في « الاشتقاق » : ان عضل وديش والقارة — هم : اخوة هذيل . ويقول « ابن جرير » في تاريخه : وأم خزيمة وهذيل — هي : « سلمى بنت أسد بن ربيعة » (١٨) . أما أبوهما فكما هو معروف : « مدركة » ومنازل هذيل تقع حول مكة المكرمة والطائف وعسفان وقد كانت المجال لنشاط القارة فسراتهم متصلة بجبل « غزوان » المتصل بالطائف . ومن منازل هذيل أيضاً « قُرّة » موضع بالحجاز من جبال تهامة (١٩) .

أما التشابه الخلقي فقد ظهر واضحاً في « يوم الرجيع » والرجيع ماء لهذيل — ولقد أثبت خبر سرية الرجيع ، وما جاء فيه عن غدر عضل وديش وهذيل ببعثة الدعوة للاسلام التي بعثها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مع من وفد عليه من عضل والديش . لقد اثبت هذا الخبر : ان الهذليين : امناء للقارة وانهم شركاء في هذه المؤامرة . فلئن كانت عضل والديش هي التي أوفدت إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من يطلبه بعث من يعلمهم الاسلام — فان قبيلة هذيل كانت يد الجريمة الملطخة بالغدر ، وان قبيلة هذيل هي التي استفادت من تلك المؤامرة ، فهذيل — هي التي باعت « خبيب ابن عدي » و « زيد بن الدثنة » لقريش مقابل اسيرين من « هذيل » ، وهذيل — هي التي حاولت : أخذ رأس « عاصم بن ثابت » لتبيعه من « سلافة بنت سعد بن شهيد » لتشرب « سلافة » في قحفه : الخمر ، اداء لنذرها ، فمنعته الزنابير والنمل، ثم حمله الوادي . والهذليون هم الذين تحملوا مسؤولية الغدر فلقد غزاهم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعد غدرهم ففروا متفرقين في رؤوس الجبال (٢٠) — كل هذا يدل على ان هذيل اشتركت مع عضل والديش في تلك المؤامرة من بدايتها ، وان الهذلين كما كانوا اخوة عضل والديش والقارة : نسباً — كانوا كذلك اخوتهم : غدراً .

ومثلما كانت « القارة » ، قوم رماة ، كذلك كان « الهذليون » : قوماً رماة ، فهذا « الأصمعي » يقول : اذا فاتك الهذلي ان يكون شاعراً أو ساعياً أو رامياً فلا خير فيه (٢١) .

ومثلما تفرق ابناء خزيمة قبائل وبطونا ، فكان منهم من سكن اليمن ومنهم من كان في الحجاز وتهامة كذلك تفرق ابناء هذيل قبائل وبطونات — فكان منهم : من جاور القارة في الحجاز وتهامة وكان منهم من نزل في نجد — ويقول « ابن منظور » عن قبيلة من « خندف » اعرقت في الشعر : انهـا من هذيل (٢٢) .

سادساً : صلة القارة ببني زهرة

وللقاريين — صلات ببني زهرة منها : صلة الحلف الذي اشتهر به « مسعود بن

---

(١٣) الطبقات الكبرى ٦٩/١ و ٢٧٨ لسان العرب مادة «حبش» سيرة ابن هشام ١ ٠ (١٤) الديل من غير همزة — هم في «الازد» وفي «اياد» وفي «عبد القيس» وفي «تغلب» أما الدئل بالهمزة — هم الذين في كنانة وكذلك هم في الهون بن خزيمة أيضا «سيرة بن هشام ٥٠/١» (١٥) سيرة بن هشام ٣٧٢/١ والأغاني ٦٦/٢٢ . (١٦) لسان العرب مادة «حبش» . (١٧) نهاية الارب مادة «لحى» و «خزاعة» ومعجم كحالة . (١٨) الاشتقاق ص ١٧٨ وتاريخ بن جرير ٢٦٦/٢ . (١٩) تاج العروس مادة «قرر» وتاريـخ ابن خلـدون ١٣٧/٢ . (٢٠) سيرة بن هشام ١٧١/٢ . (٢١) الأغاني ٢٣٣/٢١ . (٢٢) لسان العرب مادة (هذل) .

ربيعة القاري » مثلما اشتهر بحلف بني زهرة « عبدالله بن مسعود الهذلي » . فمثلما حرص المؤرخون والنسابون على تعريف عبدالله بن مسعود الهذلي بأنه حليف بني زهرة في أكثر المناسبات التي ذكر فيها ابن ام عبد – عبدالله ابن مسعود القرّاء – حرصوا كذلك على الاشارة إلى الحلف الذي يربط مسعود بن ربيعة القاري ببني زهرة . ومنها اشتراك القارة وبعض بني زهرة في ابن عبد فكما يقال للقارة : « ابن عبد » كذلك يقال لبعض بني زهرة الذين كان منزل « عبدالله بن مسعود » في محلتهم بالمدينة : « ابن عبد » كما جاء في « الطبقات » ، ويقول « ابن منظور » في لسان العرب : عبد منون لا يضاف – وكذلك لحقت كلمة « عبد » ابن مسعود فكان يقال له : « ابن ام عبد » – ولقد حرص قدامى اللغويين والمؤرخين على توجيه الانتباه إلى ما يقال للقارة ولبعض بني زهرة ولعبد الله بن مسعود : « ابن عبـــد » و« ابن ام عبد » (٢٣) .

سابعاً : الخلاصة

واخيراً : وبعد هذه النصوص التي استعرضناها تبدو لنا هذه النتائج :

• ان القارة : اسم مشاع لأماكن كثيرة ، منها : ما هو علم – مثل : « قارة حمص » ومنها ما هو نكرة – مثل : الأرض المنخفضة . وان القارة : صفة للمرامي . فالقارة : قوم رماة . وان القارة : اسم قبيلة – وان من الممكن الانتساب إلى جميع القارات التي مر ذكرها : مكاناً او صفة أو قبيلة .

• ان قارة : اسم قبيلة – يرجع تاريخه إلى ما قبل جيل « ديش » الذي كان يعاصر قصي بن كلاب . ولعله كان يطلق على جميع ابناء مدركة ابن ذات القارة بما فيهم الهذليون .

• ان اسم القارة في كثير من الأقوال التي مرت بنا ورد لاسم أب من آباء القبائل العربية قالوا عنه : انه أخو الهون وقالوا : انه ابن الهون ، وقالوا : ان مدركة – هو ابن ذات القارة . ويقول « ابن دريد » : عضل والديش والقارة – اخوة هذيل . فالقارة في كلام ابن دريد : ثالث ثلاثة – هم أخوة هذيل .

• ان اسم القارة غطى الغالبية من ابناء « مدركة » وشمل الحلفاء الذين عرفوا بالأحابيش ولكن مع شموله القبائل التي أشرنا إليها في كلام بعض المحققين ، اقتصره الكثير من المؤرخين على ابناء « يتبغ بن الهون » .

• ان قبائل « الهون » وقبائل « هذيل » تداخل تاريخها كما تداخل نسبها وتداخلت منازلها وربطت الكثير من رجالات القبيلتين ببني زهرة – الاحلاف .

فبناء على هذه الصفات وملابساتها التي تغشى القارة وما يدل عليه هذا الاسم ، ومن ينسب إليه ، وبناء على الأواصر النسبية بين الهذليين والقارة – وتداخل تاريخهم وتشابه صفاتهم واخلاقهم ، فالجميع عرفوا بالرماية وعرفوا في يوم الرجيع بالغدر . وبناء على الاحلاف التي تربط بين بعض الهذليين وفي مقدمتهم « ابن مسعود » – بالزهريين ، وتربط بين القارة وفي مقدمتهم « مسعود بن ربيعة » وبين الزهريين ، والجوار الذي جمع بعد الاسلام في المدينة المنورة « ابن ام عبد – عبدالله بن مسعود » « مع بني عبد الزهريين » حلفاء « بني عبد القاريين » – بناء على هذا كله ليس ببعيد على الظن : ان تطلق العامة على دور بني زهرة التي يقال لهم : ابن عبد دار القارة وان يعتبر « عبدالله ابن مسعود الهذلي » من القارة ، فلقد كان بعض هذا كافياً لأن يجعل « ابن منظور » الأحابيش : أحياء من القارة – فالى « مدركة بن ذات القارة » يرجع نسب « ابن مسعود » والهذليين جميعهم .

فلو ان « ابن أم عبد – عبدالله بن مسعود » عبسي – لما كان هناك سبب يدعو البحث للتنقيب عن صلة نسبية بين العبسي والقاري . اما وانه من هذيل أخو عضل ، والديش ، والقارة – كما يقول « ابن دريد » في اشتقاقه . وابن مدركة بن ذات القارة – كما يقول « ابو طالب » في لسان العرب – فهناك اسباب كثيرة تدعو للبحث والتنقيب .

ولو كان منزل « ابن ام عبد – عبدالله بن مسعود » في منازل الأوس او الخزرج لاستبعد البحث أن تكون العامة قد أطلقت على محلة الأوس « اسم القارة » . أما وان هذه المحلة هي محلة بني زهرة الذين يقال لهم : « ابن عبد » كما يقال لحلفائهم القاريين : « ابن عبد » فان هذا الظن قريب من الاحتمال .

فافتراض : ان العامة قد تكون أسمت محلة بني زهرة هؤلاء : دار القارة قام على حيثيات لا يمكن للباحث عن حقيقة اضاعتها الشكوك ، أن يدير لها ظهره متجاهلاً النصوص التي تقدمت . وافتراض هذا لم يجزم به البحث في كتاب « العرب في أحقاب التاريخ » . فليس هذا هو التعليل الوحيد الذي أورده البحث هناك ، فلقد جاء فيه تعليل آخر – وهو : قد يكون اسم « دار القراء » بضم القاف – جمع قارىء – مصحفاً – اصله « دار القراء » بفتح القاف صيغة مبالغة قارىء ، وان دور بني زهرة جميعها نسبت للقرّاء ، عبدالله بن مسعود .

ولقد تركت في ذلك البحث باب التحقيق مفتوحاً لكل من لديه دليل واضح يزيل كل شك يحجب حقيقة « دار القراء » التي قيل انها الدار التي نزلها « ابن أم كلثوم » عندما قدم المدينة المنورة مهاجراً ، والتي قال عنها « ابن زبالة » : انها دار عبدالله بن مسعود وقال عنها « ابن سعد » : انها دار مخرمة بن نوفل كما تقدم في ردّي المنشور في جريدة المدينة عدد ٢٦٤٧ في ١٣٩٢/١١/١٤ الذي قلت فيه : ان النص الذي ورد في الطبقات – يؤكد : ما قلته عن دار القراء ، وان هذا الاسم قد يعني محلة بني عبد من بني زهرة .

هذه حقيقة القارة والقاريين وصلة نسب القارة بـ « هذيل وصلتهم وصلة اسمهم « القارة » بـ « هذيل » وبـ « بني زهرة » . وتلك الشكوك التي تحجب حقيقة « دار القراء » عن أعين الباحثين ■

أمين مدني – المدينة المنورة

(٢٣) طبقات ابن سعد ١٥٣/٣ ولسان العرب وتاج العروس مادة (قور) .

من حصاد الكتب

الجدار الآخر

تأليف: الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري

عرض وتعليق: الأستاذ بكر عباس

كيف يمكن للسجين ان ينفذ الى الخارج الا اذا اخترق الجدار ! ؟ ».

هكذا صرخ بطل « موبي دك » في رجاله عندما طالبوه ان يدع الحوت الأبيض وشأنه وأن يمضي بهم الى ما قدموا من أجله . والجدار الذي كان يريد « آخاب » ان يخترقه هو الحوت الأبيض نفسه الذي قضم في منازلة سابقة احدى رجليه فأصبح الانتقام منه غاية الغايات وأصبح عند « آخاب » رمزاً للعالم المادي بكل ما فيه من قوى حافزة ومعوقة معاً : قوى تدفعه إلى التحدي والعناد لتحقيق ذاته فيرتد أمام تفوقها خاسئاً محسوراً .

لقد تردد الجدار في الشعر الغربي والفلسفات الشعرية والنظرات التأملية في القصص ، وهو يمثل المعوق او الحاجز الذي لا يُستطاع اختراقه : نفسياً كان هذا الحاجز او فلسفياً أو غير ذلك من الحالات . وقد اتخذه « سارتر » عنواناً لاحدى قصصه . وقد استعار الرمز بعض الشعراء المحدثين واصبح شيئاً مألوفاً لكثير من أدوات الأدب الغربي ورموزه وصوره . وعندما قرأت مجموعة الأستاذ عبدالله جفري أخذت أتساءل لماذا وسمها بعنوان « الجدار الآخر » وكان يكفي ان يسميها الجدار . وحدث ان كنت أعيد قراءة كتاب « عبد الوهاب البياتي والشعر الحديث » للدكتور احسان عباس فأنارت لي اشارته الى الفيلسوف الفرنسي « بول سارتر » السبيل ، وما كنت قرأت كتاب « سارتر » ، وما وفقت بعدها إلى العثور عليه الا قصة واحدة باسم « الحجرة » في مجموعة من القصص الفرنسي . غير أنني مما قرأته عن الكتاب في المراجع وما لحظته في « الحجرة » استطيع أن أقرر بأن ثمة وشيجة في المنهج بين تلك المجموعة وعنوانها « الجدار » ومجموعة الأستاذ « جفري » ، وان الثانية « الجدار الآخر » انما تشير مباشرة إلى الأولى . والجدار في الحالتين حاجز يفصل بين الشخصيات الرئيسية في القصة وبين سائر العالم مسبباً قدراً كبيراً من الألم والاضطراب النفسي والعقلي .

والحاجز او الجدار عند الأستاذ « جفري » يتغير من قصة إلى أخرى ، فهو حيناً نتيجة صراع بين القديم والجديد ، وهو حيناً آخر نتيجة مؤثرات اجتماعية أو ثقافية أو نفسية ، ولكنه في جميع الأحوال يؤدي إلى عزلة الشخصيات الرئيسية في القصة وانسلاخها من العالم المادي الخارجي لتتقوقع على ذاتها اما هرباً بمُثلها عن عالم تجرد من المثل ، أو استسلاماً لما تدرك أنها لا قِبَلَ لها بالتغلب عليه. وبانسلاخها هذا تبدأ رحلة اغترابها عن عالم لا تطيقه ، والاغتراب من الموضوعات الأثيرة في أدب ما بين الحربين . غير أنها وهي هاربة أو مستسلمة ، شخصيات سلبية مستكينة للواقع ، معطلة الارادة تحت ضغط المؤثرات الخارجية .

والعقدة القصصية فيها جميعاً بسيطة من غير تعقيد ، وليس في أي منها حركة أو ترقب يثير حب الاستطلاع في القارىء او تشوقه إلى النتيجة ، فهي على العموم مسطحة من غير أبعاد ، وانما تستمد قوتها من التفاعل مع المؤثرات الخارجية التي تقيم « الجدار » بين الشخصيات وعالمها ، ويكون هذا التفاعل على شكل دوائر تنداح وتتسع من حول المركز حتى تبعد الصلة بينه وبين المحيط الذي وجد فيه .

فالقصة الأولى « ما يحبّوك البنات »، وهي عندي أفضل المجموعة وأرصنُها بناء ، تدور حول شخص أراد ان يقتحم الحياة بآماله وبثقته في نفسه وفي قدرته على بناء واقعه بمنأىً عن مؤهلات « الأسرة » و « الأهل » و « المال » وحاضر الجاه ، أي ما تواضع عليه المجتمع من مؤهلات ، فيخفق المرة تلو المرة في ان يلقى قبولاً لدى أسرة تزوجه ابنتها أو فتاة تتزوجه ، فينزوي في دنيا الناس ويقنع بغربته عنهم ويسدل دونهم جداراً من غربته بينهم ، وتصبح الصلة الوحيدة بينه وبينهم صياح الأولاد كلما رأوه ، « ما يحبوك البنات » ، تلك الصيحة التي غدت اسمه بين الناس ، ونباح الكلاب والغبار الذي يثار من حوله .

لقد جهد الكاتب كل الجهد في بناء هذه القصة وحشد لها من الرموز والتداعي ما اكسبها إمتاعاً وعمقاً . « فالدكة » الباقية من البناء القديم وسط الأبنية الجديدة رمز للجدار النفسي الذي ستجده بعد حين ، وهي في الوقت نفسه رمز لتمسك أي جيل ماضٍ بتقاليده وعاداته الاجتماعية الموروثة .

وقد ترك الكاتب عامداً صاحب القصة غفلاً من الاسم إمعاناً في تصوير قسوة المجتمع على من يتخطى الدائرة التي يرسمها من حوله . إنه بلا أب أو أم أو أسرة .

وكل ما يربطه بدنيا الناس أخ اسمه « علي » ارتحل ولم يعد يعرف مكانه او يتبين صورته ، فهو في الحقيقة صورة المجتمع الذي اغترب عنه ، أو لعله هو نفسه يوم كان يراه الناس انساناً مستقيماً قبل أن يتم الانفصام بين « جيكل » و « هايد » . غير ان الاغتراب والانفصام لا يصيبانه وحده . « فالناس يعيشون حياتهم بلا حقيقة . . . الحياة عند كل الناس مجرد حلم طويل خادع » . ولذلك فان ما يحدث هو « انفصام انساني » ، « والناس ، كل الناس يعانون حرقة الفرقة ، وعذاب الوحدة . . . ان ستاراً من الانسلاخ الانساني يتم في حياة الناس ... ان الستائر كثيرة في حياة البشر . . . » ان ثمة جداراً بين دنيا الحقيقة ودنيا الوهم ونحن في حيرة ، اي جانبي الجدار أفضل ؟

أما القصة الثانية « أبعاد » ، لا أدري ان كان يجب أن تقرأ بفتح الهمزة أو بكسرها فهي رسالة إلى محبوبة تركت فتاها لتصيب علماً ، فتعرض من بعدها لفتنة المشرفة الاجتماعية في المدرسة التي كان وكيلاً لها فاستعصم ، فكادت له لدى المدير الذي طرده من غير أن يتبين موطن قدّ قميصه . فهام في سيارته مسرعاً صوب الصحراء هرباً بعفته من عالم يؤجر فيه العفيف المستقيم بالحرمان . . من أسباب رزقه واتهامه بالانحراف والفجور ، حتى إذا صدمته سيارة أخرى نقل إلى المستشفى حيث قرر الأطباء بتر ساقه ثم عدلوا إلى جبرها ليعيش بقية عمره أعرج .

وإشارتي إلى قصة يوسف ليست تملّحاً وإنما قصدت أن أشير إلى مبلغ قدم الموضوع مروراً بألف ليلة وليلة وعبر كثير من القصص والأفلام « الميلودرامية » ، أي العاطفية المثيرة التي تعتمد على الحادثة والعقدة أكثر مما تعتمد على تصوير الشخصيات . وقد يرد الكاتب بأني أخطأت فهم موضوعه وبسطته تبسيطاً اضرّ به ، وان موضوعه هو الصراع بين العالم الروحاني ، عالم المُثل ، وبين النزعة المادية الصرف في المجتمع ، أو سمو الحب الحقيقي على عالم المادة وما يلقيه ذلك العالم في طريقه من صعاب ، وان الوهم في الأول خير من الحقيقة في الثاني . وأقول ان الموضوعين شيء واحد وان كان أحدهما أوسع عموماً من الآخر . ومثل هذا الموضوع ينبغي ، لكي يرتفع عن نطاق الابتذال ، ان يطرق من زاوية جديدة أو على الأقل أن يعرض بشكل جديد . والقصة التي بين أيدينا ليست من هذا ولا ذاك . ولا ينقذ القصة رمز الجدار الذي أقامه الحب بين الشاب المثالي صاحب القصة ، ودنيا الناس بما فيها من التواء وتجنٍّ وأنانية ، ولا هربه — اغترابه — من هذا العالم واصطدامه بجدار الواقع ليرتد إليه بعاهة باقية تذكره ما لقيه من قسوة ، وتذكر محبوبته وفاءه وتضحيته ، ويعبير بها العالم تجنيه عليه .

وفي القصة عنصر معوق آخر وهو الاسراف في الخطابة — لعل عذر الكاتب انها قصة في رسالة — وقد رأيناه يكف من غرْب هذه النزعة في القصة السابقة فيستعيض عنها بلمحات تضيف إلى القصة وتقويها .

ومثل هذا يمكن أن يقال في قصة « الغريب » فهي محاضرة في سمو العاطفة والوفاء اللذين يتخطيان العجز المادي إلى سموّ الروح وعلائها .

لقد أطلت الوقوف بعض الشيء عند هاتين القصتين لأنهما بمزاياهما والمآخذ عليهما أنموذ ج للمنهج في المجموعة كلها ، نقد لواقع إجتماعي قاس ، وصراع رومانتيكي بين الحلم والحقيقة ، أو بين الانفعالات الذاتية والمؤثرات الخارجية .

ومن النوع الأول « الكارثــة . . شيء بسيط » و « عصا المجنون » . فالأولى قصة طالب نجيب أصرّ أبوه على أن يزوجه في مطلع حياته فأصبح يخفق في زواجه عاماً وفي تحصيله العلمي عاماً آخر ، وقام في حياته جدار من الخيبة المتلاحقة تركه في منطقة تعادل الشعور حيث ينعدم الاحساس باللذة والألم . والثانية قصة فتىً أوصلته قسوة زوجة أبيه إلى الجنون حتى أصبح يرى في كل امرأة زوجة أبيه التي يريد أن يصب عليها كل انتقامه . سمّه ان شئت كره النساء « جينفوبيا » . والجنون هنا هو الجدار الذي ينزوي وراءه الفتى ويعتزل دنيا الناس .

مرة أخرى الهرب والاغتراب والعزلة خلف الجدار . ومرة أخرى نجد الكاتب أقدر على بناء القصة لأنه يقف على أرض أصلب من الأحلام وتهويمات الخيال . ومع ان الموضوع ليس جديداً أو مبتكراً فان عرضه له لايخلو من متعة وجدّة ، وهو يتقن نسج الشرنقة من حول النواة المعهودة ، كما ان التجاذب والتنافر بين جانبي جداره أشد قوة ووضوحاً . وأشخاصه هنا أقرب إلى النضج — رغم ما ينتابها من جنون — من شخوص قصصه الرومانتيكية او ان شئت الوجدانية . فالفتى في « قشور الرمان » غرير حالم لا يدري ماذا يريد ولا ما هو محله من الصراع بين الطبيعة وحياة المدينة ، وتنفرج الأزمة أمامه بنفسها دون ان يكون هو عاملاً في تفريجها من قريب أو بعيد (في الحقيقة حسب هو أنه أوجد أزمة بين الطبيعة والمدينة وانما كانت الأزمة في نفسه) ، وهو في « حيث تموت الحياة . . من جديد » مراهق مغرور وما أظن الكاتب قصد ان يصوره كذلك . هل من قبيل الصدفة انها في اكثر من حالة شخصيات كسيحة أو في رفقــة عاجزين ؟ !

وقبل أن أتهم بالاعتساف في تناول بعض قصص المجموعة أسارع إلى الاعتراف بأنني أنظر إلى القصص الوجدانية والتجريد المتسامي للعواطف بشيء من التشكك ، وانني لأروض النفس على التمسك بأهداب الموضوعية عند النظر في مثل هذه القصص ولكني لا أضمن ألا ينفلت بي الهوى .

وفي الختام أستطيع القول بأن « الجدار الآخر » تبشر بطاقة في مجال القصة تتمنى لها الانطلاق قدماً إلى أرحب الآفاق ، وللاستاذ الجفري نجاحاً واسعاً راسخاً متصلاً ■

بكر عباس — الظهران

المكوك الفضائي

بقلم: الأستاذ نقولا شاهين

إذا تتبعنا تطور التقنية في مختلف المجالات العلمية ، نرى ان الرحلات الفضائية وما انتهت اليه من نتائج . كانت من اروع الانتصارات العلمية التي حققها الانسان والتي انعكست أبعادها على كثير من المنجزات العلمية . وقد اثبتت رحلات المختبر الفضائي « سكاي لاب » الأولى والثانية والثالثة ، ان بالامكان وضع مركبة مجهزة تجهيزاً كاملاً في مدار لها حول الأرض ، وارسال رواد اليها واعادتهم إلى الأرض سالمين . بعد ان يكونوا قد قضوا عدداً من الأيام في المحطة الفضائية . وقد تمكن رواد الرحلة الأولى من البقاء في المختبر مدة ٢٨ يوماً كما كان مقرراً ، قاموا اثناءها بعمليات رصد للشمس اسفرت عن نتائج باهرة . وانجزوا ٨٠ بالمئة من أهدافهم العلمية . وبعد رجوع الطاقم الأول الى الأرض ، ظلت المركبة الفضائية تدور حولها مدة خمسة اسابيع ، بينما كان الطاقم الثاني يتهيأ للقيام برحلة تدوم ٥٩ يوماً في الفضاء . وقد تمت الرحلة الثانية ودارت المركبة الفضائية ٨٥٩ دورة حول الأرض خلال هذه المدة . وقد اصطحب رواد الفضاء في رحلتهم الثانية هذه عنكبوتاً ، وكان لنسجه أهمية في محاولة كيفية التغلب على جاذبية الأرض اثناء النسج . وقد عاد العنكبوت إلى الأرض سالماً .

انطلق رواد الرحلة الثالثة في ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٣ ليلتحقوا بالمركبة الفضائية مدة ٨٤ يوماً ، وهو رقم قياسي بعد ذلك الرقم الذي سجله رواد الرحلة الثانية . وقد تأخر اطلاق هؤلاء الرواد بشكل خاص ، لكي يتمكنوا من مراقبة المذنب « كوهوتيك » ، الذي كان سينطلق عبر المجموعة الشمسية ، ويمر بالقرب من الأرض على مسافة ١٢٠ مليون كيلومتر ، فتم لهم ذلك وتمكنوا من التقاط صور له ، وهو أمر تعذر عليهم تنفيذه من الأرض . وقد كشفت هذه الصور عن ان هناك جزيئاً ثابتاً نادراً في مجرتنا ، ثبت للعلماء وجوده في المذنب ، وهو ينطلق بسرعة ، وهو جزيء « سيانيد الايدروجين » . ويقول أحد العلماء ان اكتشاف هذا الجزيء يدل على ان المذنبات تتكون من دقائق الغبار المنتشرة بين النجوم ، بعيداً جداً عن الشمس وما حولها من الكواكب



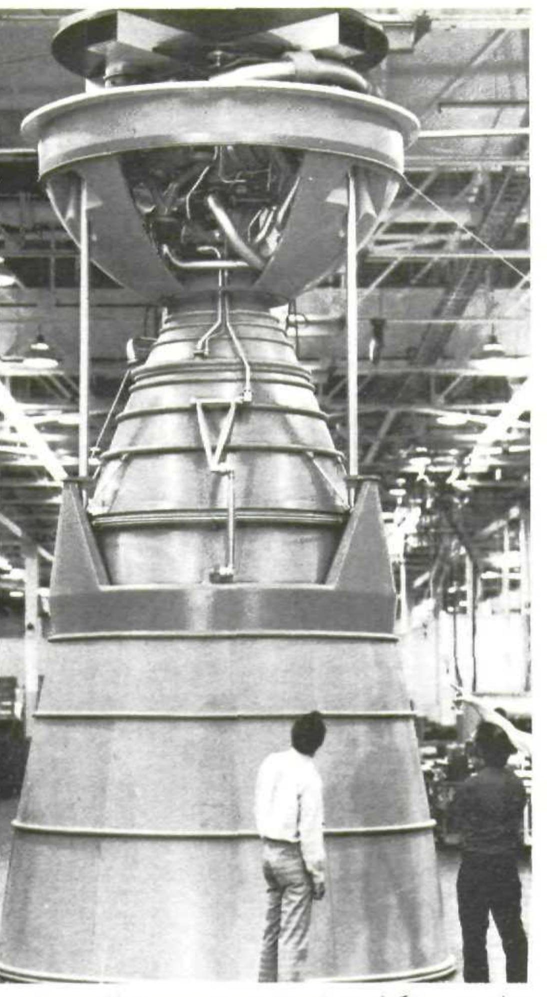
صورة لمكوك فضائي وقد خرج منه اثنان من علماء الفضاء استعدادا للقيام باصلاح قمر اصطناعي واعادته الى الارض

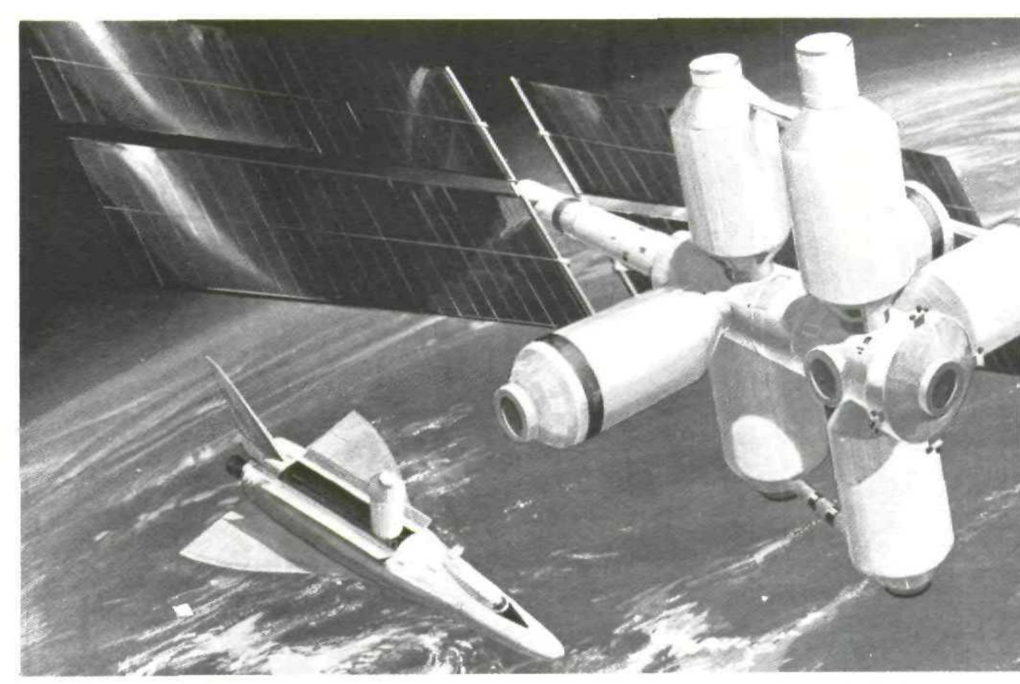
وقد وضع مشروع المكوك الفضائي في المقدمة . ذلك لأن مكوكاً فضائياً قابلاً لاعادة الاستعمال ولتجهيز رجال الفضاء أثناء عملهم بما يحتاجونه، قد يشكل عنصراً اساسياً في السنوات العشر المقبلة ، وبدون هذا المكوك تصبح التكاليف المترتبة على كل مهمة فضائية باهظة جداً .

وفي حال تحقيق مشروع المكوك الفضائي يصبح بالامكان استعادة المركبات الى الأرض سليمة واستخدامها في رحلات فضائية أخرى الأمر الذي سيؤدي ولا شك الى تدني التكاليف المترتبة على نقل رواد الفضاء مع معداتهم واجهزتهم الى مدار حول الأرض من نحو ١٣٢٠ دولاراً عن طريق المركبات الحالية الى نحو ٣٣٠ دولاراً لكل كيلوغرام عن طريق المكوك الفضائي . وفضلاً عن هذا ، يكون المكوك الفضائي اول وسيلة للتنقل بين الأرض ومحطة فضائية مدارية ، او قاعدة على سطح القمر ، او لإطلاق مركبات فضائية غير مأهولة في مدارات حول الأرض بعد نقلها الى الفضاء، أو استعادة أقمار اصطناعية وضعت في مدار الأرض وتجهيزها وتفقدها وصيانتها أو الكشف عن طبيعة الكواكب السيارة .

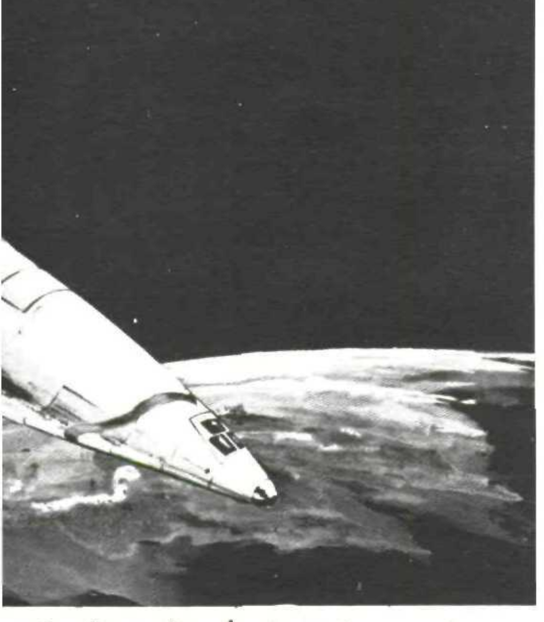
على ان افضل ما ينطوي عليه مشروع المكوك في حال تحقيقه ، هو انه سيجعل السفر الى الفضاء أمراً عادياً . وبالرغم من تقدم علم الطيران في تقليص المسافات بين القارات المختلفة ، فان المساعي ما زالت تبذل لتحقيق مزيد من التقدم في هذا المضمار . فالطائرات التي تنطلق بسرعة تفوق سرعة الصوت كطائرة « الكونكورد » مثلاً مكنت الانسان من قطع المسافة بين نيويورك وباريس في مدة ساعتين وبضع دقائق ، وهذا تقدم بارز اذا ما قورن بالوقت الذي استغرقه « لندبرغ » عندما اجتاز الأطلنطي عام ١٩٣٦ والذي بلغ آنذاك ٣٦ ساعة .

وهكذا نرى ان المكوك الفضائي سيجعل حدود الفضاء التي عرفت عام ١٩٧٠ ، مناطق مألوفة لدى الانسان بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٠ ، كما انه سيكون خطوة أولى نحو تحقيق محطة فضائية مدارية مأهولة ، وهذه المحطة تؤلف صلب التخطيط لعام ١٩٨٠ . وقد اقترح أحد علماء الطاقة الذرية شحن النفايات الراديومية في مركبة فضائية وقذفها نحو الشمس وذلك بعد تطوير المكوك الفضائي تطويراً متقناً ، لأن هذه النفايات تشكل حجر


محرك رئيسي لمكوك فضائي قامت بتصميمه شركة « برات وهويتني » ، وتبلغ قوة دفعه في الفراغ الفضائي ٢٩٠٠٠٠ كيلوغرام .


محطة فضائية تضم مجموعة من المركبات قام بنقلها مكوك فضائي لوضعها في مدار لها حول الأرض . وقد ظهر في أسفل الصورة المكوك الفضائي للقيام بنقل مركبة جديدة الى المجموعة .

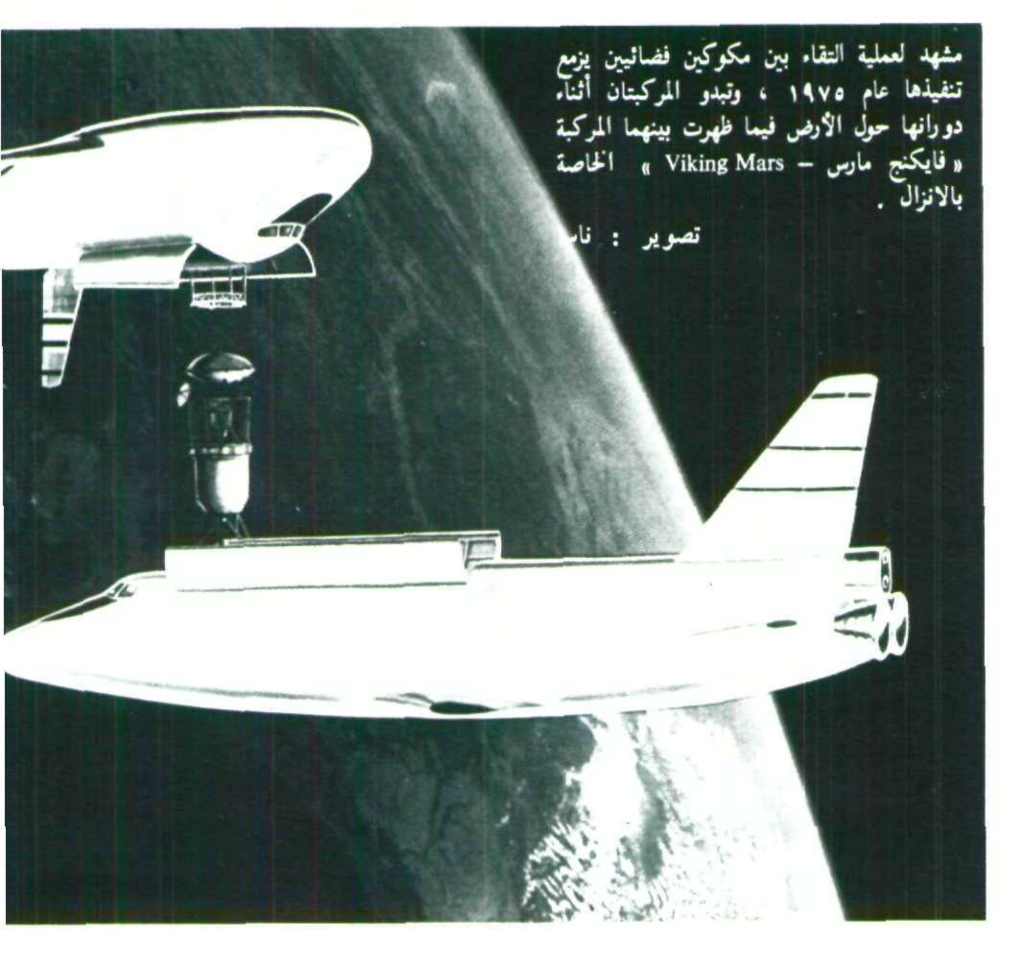
تصوير : ناسا


صورة لرسم وضعه الفنان يظهر أحد الأوضاع التي سيكون حول الأرض .

السيارة . وفي ٨ فبراير عام ١٩٧٤ ، عاد رواد مختبر الفضاء « سكاي لاب » الثلاثة الى الأرض بسلام بعد ان امضوا ٨٤ يوماً داروا خلالها ١٢١٤ مرة حولها فكان هذا دليلاً آخر على امكان سبر اغوار الفضاء .

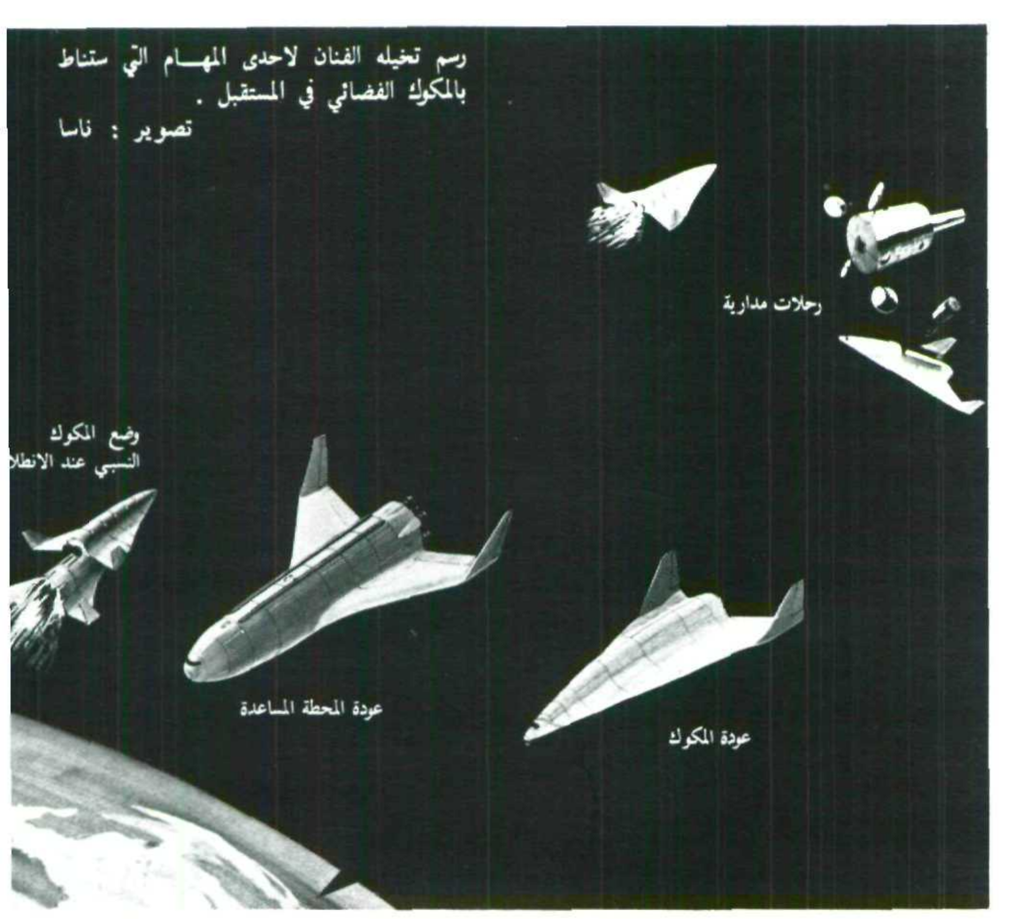
ومن جهة ثانية نرى ان رحلة المركبة « بايونير–١٠ » الى الكوكب السيار « المشتري » ، قد فتحت آفاقاً جديدة امام العلماء في مضمار أبحاث الفضاء . فبعد ان وصلت هذه المركبة الى بعد نحو ٣٠ ٠٠٠ كيلومتر عن « المشتري » ، ارتفعت سرعتها من ٤٦ الف كيلومتر الى ١٢٨ الف كيلومتر في الساعة ، وذلك بتأثير جاذبية الكوكب السيار « المشتري » لها والتي تعادل ثلاثة أضعاف جاذبية الأرض تقريباً . ومن هناك اندفعت بقوة بفعل الجاذبية نحو افلاك الكواكب السيارة « ساتورن » فـ« أورانوس » ، فـ« نبتون » ، فـ« بلوتو » . وقد صمم الجهاز الراديوي في هذه المركبة ليعمل مدة خمس سنوات ، وفي عام ١٩٨٧ ينتظر ان تغادر المركبة « بايونير – ١٠ » النظام الشمسي اذا ما سارت الأمور وفق البرنامج الزمني المحدد لها . وجدير بالذكر ان هذه الرحلة استغرقت ٢١ شهراً بين الأرض والمشتري ، وهي أقل بقليل من المدة التي كانت معينة لها .

هذه الانجازات العلمية التي قام بها الانسان حدت بالعلماء الى الاسراع في تصميم وصنع المكوك الفضائي ليكون وسيلة نقل يستخدمها الرواد في تنقلاتهم بين محطات الفضاء ، وذلك بصورة اقتصادية عملية . وقد اثبتت النتائج التي اسفرت عنها الرحلات الفضائية السابقة على انها سليمة جداً .



مشهد لعملية التقاء بين مكوكين فضائيين يزمع تنفيذها عام ١٩٧٥ ، وتبدو المركبتان أثناء دورانها حول الأرض فيما ظهرت بينهما المركبة « فايكنج مارس – Viking Mars » الخاصة بالانزال .

تصوير : ناسا



رسم تخيله الفنان لاحدى المهام التي ستناط بالمكوك الفضائي في المستقبل .

تصوير : ناسا

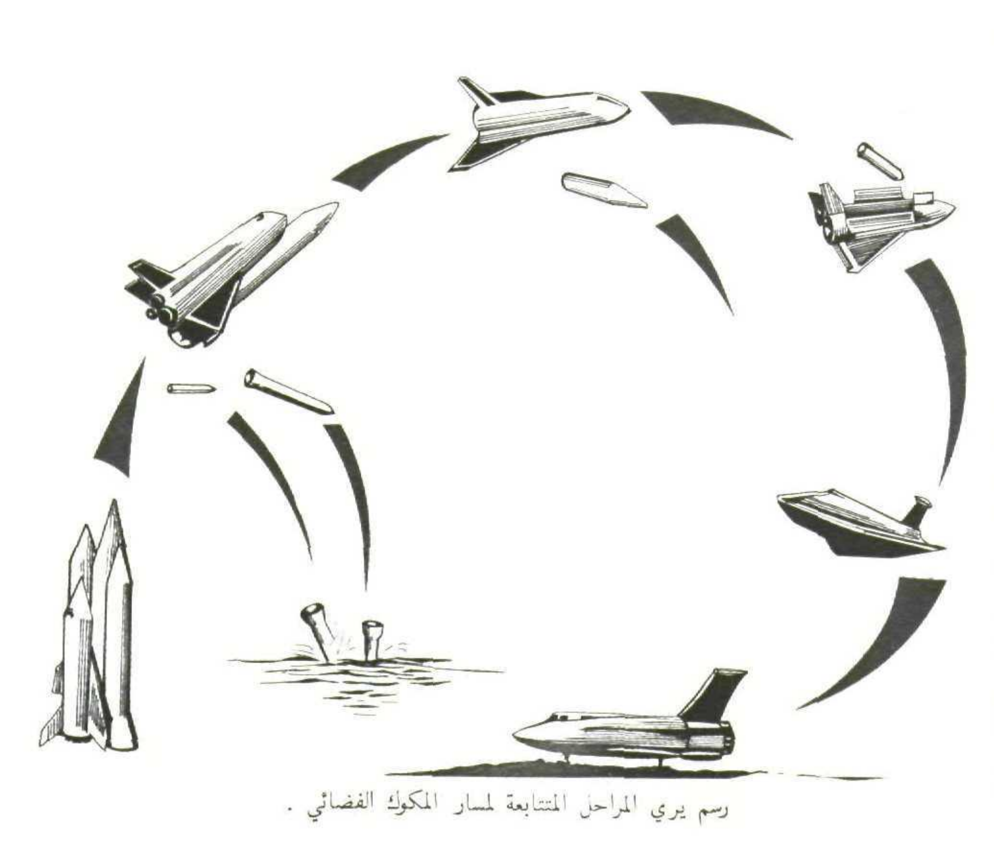
تطوّر جوهري في أهداف المركبات الفضائية وفكرة المكوك الفضائي

بعد وصول الرواد الأميركيين الى سطح القمر في يوليو عام ١٩٦٩ ، اخذت الأنظار تتجه الى جعل الرحلات الفضائية مفيدة من الناحية الاقتصادية ، وان توضع على أسس تؤهلها لتنميتها لكي تكون صالحة لأجل طويل . ففي عام ١٩٦٩ ، ظهرت في الأوساط العلمية الأميركية ، بوادر ترمي الى البدء في تحقيق مشاريع ثلاثة ، هي : المكوك الفضائي ، والمحطة المدارية الفضائية ، ومحرك صاروخي نووي ، على ان يتم ذلك خلال عشر سنوات

دراسة تأثيرات انعدام الوزن والاشعاع الكوني على رواد الفضاء ، وتمكين العاملين في حقل كيمياء البيئة أيضاً من دراسة تفكك الجزيئات العضوية ومقاومتها في الفضاء ، حيث تكثر التفاعلات الكربونية على نحو يفوق ما كان سائداً من قبل . كما سيفسح المجال امام المهندسين على اختلاف اختصاصاتهم ، لنقل المختبرات والعلماء الى الفضاء لاجراء تجاربهم العلمية ، وخاصة عندما تكون الجاذبية صفراً .

لقد تبين من الاستكشافات الفضائية ، ان الفراغ القائم بين الكواكب السيارة ليس فراغاً لا تركيب له ، بل هو مليء بنماذج معقدة من التيارات الكهربائية والمجالات المغنطيسية والكهربائية ، وجزيئات من الغاز دائمة الحركة ومشحونة ، ولها درجة حرارة عالية تعرف بالبلازما أي الجزيئات المؤينة . ويقول بعض العلماء ان دراسة البلازما في الفضاء ، سوف تجعل في مقدورهم التوصل الى معرفة اصل النظام الشمسي ، وهو أحد الأهداف الرئيسية للعلم في القرن العشرين ، كما ستزودهم بمفتاح التحكم في القوة الحرارية النووية ، الأمر الذي يقض مضاجع العلماء على الأرض .

ويعلق العلماء آمالاً كبيرة على امكان استخدام الهايدرودينامية المغنطيسية وهي استخلاص الكهرباء مباشرة من مجاري بلازما سريعة ، وتحويل الطاقة الشمسية مباشرة من الفضاء الى الأرض .



رسم يري المراحل المتتابعة لمسار المكوك الفضائي .

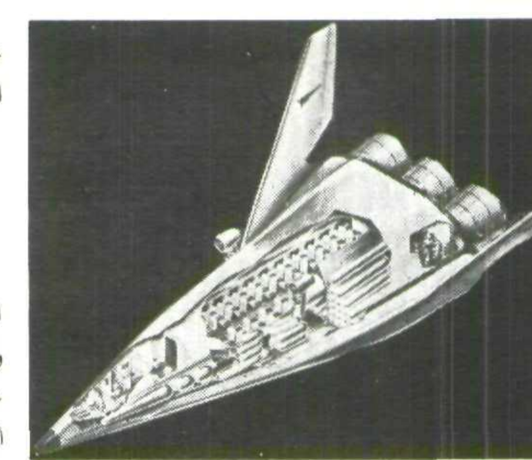
ساعة ذرية ورادار ذري ومعادن خاصة للمكوك

رافق التقدم التقني الحديث تطور هام في قياس الزمن ، فنشأ عن ذلك ابتكار ساعات بلورية تضبط الوقت بخطأ مقداره ٣ أجزاء من مائة جزء من الثانية في الشهر ، واحتلت هذه الساعات مكانة رفيعة في مراكز الاذاعات ومراصد الفلكيين . وأعقب هذا ابتكار ساعات ذرية قوامها غاز الأمونيا (NH_3) ، فعندما تتعرض جزيئات هذا الغاز لأمواج راديوية من طول معين ، تثيرها تلك الأمواج فتعطي تذبذباً مقداره ٢٤ بليوناً في الثانية ، وهذا النوع من الساعات غاية في الدقة بحيث لا يتعدى مقدار الخطأ في ضبطها للوقت ثانية واحدة في مدة ٣٠٠ سنة تقريباً .

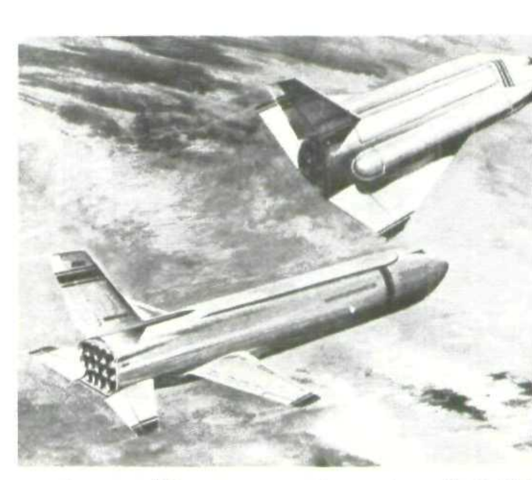
ومع التقدم الذي رافق حقل الطيران والرحلات الفضائية ، أصبح من الضروري استحداث ساعة دقيقة للغاية ، تجنباً لاصطدام الطائرات ولما يجابه رجال الفضاء من احداث يقتضي الأمر تحديد زمن وقوعها بدقة متناهية . وقد احتل عنصر « سيزيوم — Cesium » مكان غاز الأمونيا مدة طويلة ، أما اليوم فقد تبين ان عنصر (روبيديوم — Rubidium) يمتاز على غيره من العناصر الأخرى باعتبار ان الساعات التي قوامها هذا العنصر تتحمل صدمات واحوالا شاذة لا تتحملها الساعات الذرية الأخرى . فساعة « الروبيديوم » تتحمل الاهتزازات الناشئة عن تسارع في اندفاع الصواريخ يصل الى نحو ٣٠ ضعف تسارع الأرض دونما أي تأثير ، والى حرارة تتراوح بين ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر و ٧٠ درجة مئوية فوق الصفر ، كما وان الخطأ في ضبطها للوقت ضئيل جداً بالنسبة الى الخطأ الذي يحدث في الساعات الذرية الأخرى.

وقد تبين ان هذه الساعة هي أفضل موقت للمكوك الفضائي ، اذ انها تستهلك ٢٠ واطاً من الكهرباء ، وتعمل بالتيار المباشر من قوة ٢٧ فولطاً ، او ١١٠ أو ٢٢٠ فولطاً من التيار المتناوب ، او بطاريات تمكنها من العمل مدة ساعتين ، وتبلغ ذبذباتها ٥ ملايين او مليون ، او مائة الف ذبذبة ، وتزن نحو ١٣ كيلوغراماً ، وتشغل جزءاً من ١٢٠ جزءاً من المتر المكعب (نحو ثلث قدم مكعب) . هذه المواصفات تجعل ساعة « روبيديوم » مؤهلة للعمل في المكوك الفضائي ، حيث تكثر اجهزة الملاحة المعقدة .

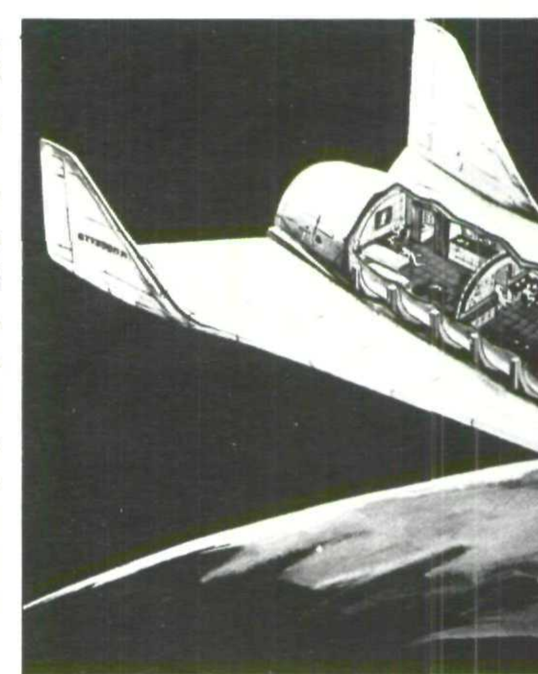
ولا بد من جهاز رادار أيضاً لبث اشارات ضيقة ، تساعد على تحقيق اللقاءات بين المركبات في الفضاء دون الحاجة الى هوائي ضخم ، لأن المعنيين بالأمر يرغبون في أن يظل المعدن في المكوك الفضائي سليماً عند التقائه بالمركبة الفضائية الأولى . وحيال ذلك فقد اقتضى الأمر تطوير جهاز رادار لازري بسيط التركيب ، يبلغ قطر هوائيه نحو مليمتر واحد وهذا يضمن بث الاشارات الضيقة . ويتم قياس البعد بواسطة الوقت اللازم لنبضات أشعة لازر ، لتنطلق نحو الهدف وتعود الى مصدرها في اقل من جزء من بليون جزء من الثانية ، وذلك على نمط قياس البعد بين مصدر الصوت ومركز حدوث الصدى .



كوك خاص بمساندة رجال الفضاء أثناء مهامهم العلمية .



كوك فضائي وصاروخ رافع من تصميم شركتي « غرومان »
« بوينغ »



الفضائي أثناء القيام ببعض التجارب العلمية خلال دورانه

تصوير : ناسا

عشرة في وجه تصميم مولدات كهربائية قوامها الوقود الذري .

التنافس بين الشركات في تطوير المكوك الفضائي

يواصل العلماء جهودهم الرامية الى ابتكار اجهزة تحقق للانسانية ما يفيدها وينفعها . وفي شهر فبراير من عام ١٩٦٩ ، بدأ التنافس على أشده في تطوير المكوك الفضائي بين الشركات المختصة ، وذلك لدراسة مخططات قدمتها اليها مؤسسة الطيران والفضاء الأميركية الوطنيــة ، ترمي الى ابتكار وتصميم اجهزة تسهل عملية القيــادة في مركبات فضائيــة كالمكوك .

كان ينتظر ان تدرس المخططات التي قامت بها الشركات لكي يبدأ العمل في أوائل عام ١٩٧٠ ، وقدرت التكاليف المترتبة عليها بحوالي ٥٠٠٠ مليون دولار ، وتشمل هذه المخططات تطوير وبناء ست مركبات نموذجية للاطلاق ، على ان تجري عمليات الاطلاق التجريبية في صيف ١٩٧٥ ، وان تتم عمليات الاطلاق الفعلية عام ١٩٧٦ . اما التصميم الأساسي للمكوك الفضائي فقد بدأ كمركبة غريبة معقدة ، تتألف من صاروخ مجنح للدفع يشبه الطائرة النفاثة ٧٤٧ ، ويمكن الحصول على هذا الجزء من المرحلة الأولى للصاروخ « ساتورن ـ ٥ » من وجهة اقتصادية ، كما انه يستعان بمحركات الصاروخ نفسه في المراحل العليا لصنع الجزء المداري المجنـح . وهذا يعتلي ظهر الصاروخ الدافع .

يرتفع الصاروخ وعلى ظهره المركبة المدارية الى علو نحو ٧٢ كيلومتراً ، وهنا ينفصل الصاروخ ويهبط الى القاعدة الأرضية ويقوده ملاّحان . في هذه اللحظة يشغل القسم المداري محركاته ويرتفع الى مدار أعلى ، لينجز رحلات تدوم سبعة أيام أو أكثر ، ويحمل ما يبلغ وزنه نحو ٥٠٠ ٢٩ كيلوغرام ، وتكون هذه الحمولة مؤلفة من ٤ ملاحين و ١٢ مسافراً ، او مزيج من المسافرين وامتعتهم . في الطور الأول يمكن اعادة استعمال الصاروخ والمركبة المدارية خمس او عشر مرات ، وفي الطور الثاني تستطيع المجموعة العمل خلال ٢٥ رحلة .

ولكي يتمكن الصاروخ من رفع الحمولة المذكورة آنفاً ، ينبغي ان يكون مجهزاً بـ ١٢ محركاً تعمل بالايدروجين السائل لتولد دفعاً مقداره ٣ ملايين كيلوغرام ، وهذه اول مرة يستخدم فيها الايدروجين السائل في الانطلاق من الأرض الى الفضاء . كما ينبغي ان يكون مجهزاً بثلاثة محركات يزيد دفعها على ٦٨٠ ٠٠٠ كيلوغرام ، وهذه أكبر قوة دفع تم التوصل اليها حتى الآن .

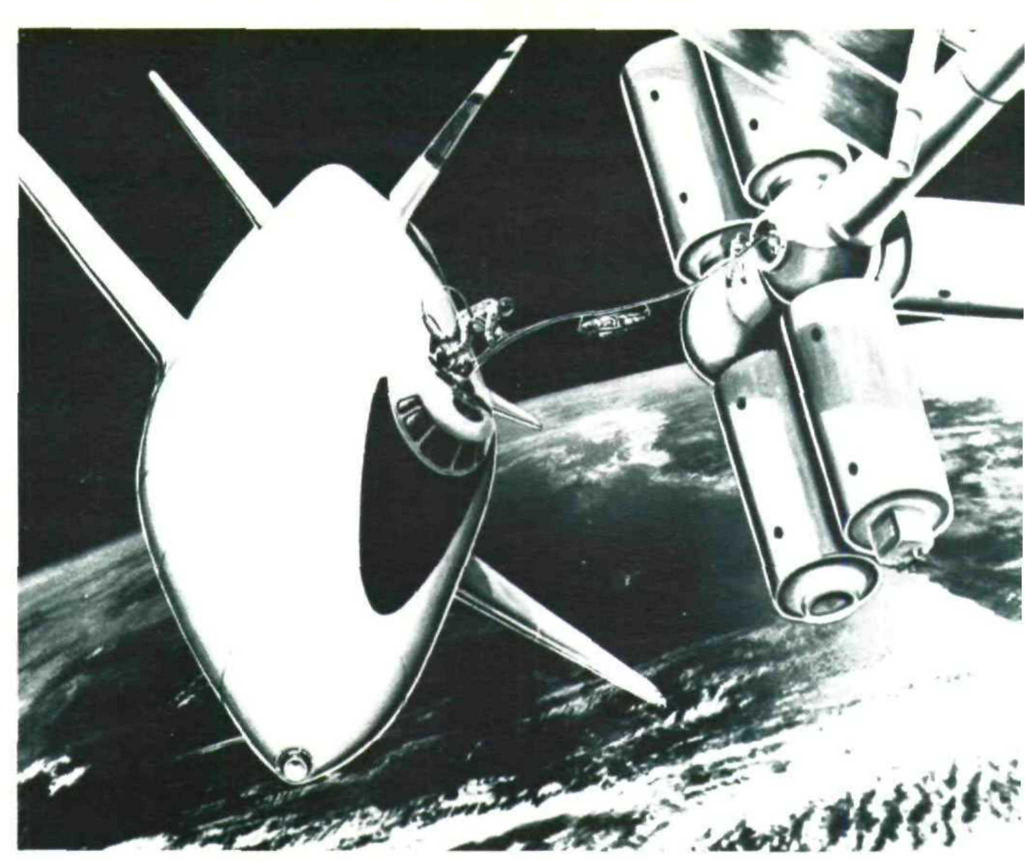
المنافع المرتقبة من المكوك الفضائي

مع تقدم الدراسات ، اصبح جلياً ان المكوك الفضائي بمثابة المفتاح الأساسي لسبر عالم مـركبات الفضاء المعقدة ، وبفضل ما يقترن به من مميزات اقتصادية تكمن في قدرته على نقل حمولة ضخمة الى الفضاء ، فانــه سيساعد في اطلاق جميع أنواع الأقمار الاصطناعية من تجارية وعلمية ، وكذلك السوابر ، في مجال الكشف عن طبيعة الكواكب السيارة . ولما كان طول القسم المعد للحمولة في الجسم المداري نحو ١٨ متراً ، فان بامكانه أن ينقل الى الفضاء أضخم الأقمار الاصطناعية .

فضلاً عما تقدم ، سيصبح في امكان المكوك الفضائي المأهول ، القيام باعمال الخدمة والصيانة العادية التي تطلبها محطات الفضاء ، بالاضافة الى استعادة اي من الأجهزة والمعدات الى الأرض . وعلى سبيل المثال ، كان هناك مرصد فلكي مداري قد تاه في رحاب الفضاء ، بسبب توقف بطارياته عن العمل ، غير انه كان بالامكان انقاذ هذا المرصد عن طريق مكوك فضائي مجهز بالوسائل اللازمة . فهذه الخدمات ستمكن الشركات المصنعة ، ولا شك ، من بناء اقمار اصطناعية قليلة التكاليف نظراً لأنها لا تستطيع البقاء في الفضاء زمناً طويلاً دون صيانة .

وعندما يكون المكوك في الفضاء ، يصبح من السهل تجميع المحطات الفضائية وصيانتها ، ليس لربط عمليات الأقمار الاصطناعية فحسب بل لاقامة منصات على مقربة من الأرض ، وذلك لاجراء تجارب علمية وصناعية مباشرة ، تشمل مشاريع من شأنها اكتشاف معادن ومواد جديدة على الأرض ، او وسائل للصناعة في الفراغ لا يمكن تحقيقها على الأرض ، وكذلك احتمال توليد طاقة كهربائية خالية من التلوث ونقلها الى الأرض وغير ذلك .

ومن ناحية اخرى سيكون المكوك الفضائي وسيلة لتوسيع نطاق دور الانسان في أبحاث الفضاء ، عن طريق حملات طبية تهدف الى



رسم تخيله الفنان لرائد فضاء مصاب يجري نقله من مركبته المعطوبة الى مركبة أخرى بواسطة حبل للنجاة ، وهذه العملية ستكون من مهام المكوك الفضائي .

تصوير : ناسا

ولما كان المكوك الفضائي يتعرض لحرارة عالية عند عودته الى الأرض ودخوله الغلاف الهوائي ، أصبح من الضروري اللجوء الى استخدام معادن ذات درجات ذوبان عالية ، من هذه المعادن « تنغستون — Tungsten » و « تنتالوم — Tantalum » و « موليبد ينوم — Molybdenium » و « كولومبيوم — Colombium » . وقد تبين للعلماء ان معدن (تنتالوم) في طليعة المعادن المفضلة في صنع رؤوس المركبات الفضائية ، اذ انه يتحمل حرارة مقدارها ١٥٠٠ درجة مئوية فوق الصفر ، بينما يتحمل معدن (كولومبيوم) ١٣٠٠ درجة مئوية .

وتجري حالياً دراسات موسعة للحصول على سبائك معدنية تتحمل درجة حرارة عالية وقوة فائقة ، تكون خفيفة الوزن وقليلة التكاليف في وقت واحد .

المكوك في غضون عشرين عاماً

يتوقع العلماء خلال العقدين القادمين تطوراً ملحوظاً في أبحاث الفضاء ، ويتمثل ذلك في الغاء الصواريخ التي تحمل مركبات فضائية الى اهدافها ، واستبدالها بالمكوك الذي يمكنهم من الوصول الى محطات فضائية والعودة منها الى الأرض بصورة سهلة للغاية ومضمونة ومتدنية التكاليف بحيث يصلح المكوك للاستعمال في أكثر من رحلة . ونتيجة لذلك ، فان الوقود الكيميائي اللازم لاعطاء المكوك سرعة هائلة تمكنه من سبر اعماق النظام الشمسي ، لن يكون مناسباً .

هذا وسيتمكن المكوك الفضائي في الغد من الدوران حول كوكب الزهرة حيث تبلغ درجة الحرارة على سطحه ٤٥٠ درجة مئوية فوق الصفر ، كما سيتمكن من القيام بجولات استكشافية لجمع المعلومات عن كوكب المشتري وحتى عن حلقات كوكب زحل ، كذلك سيتمكن من الهبوط على سطح كوكب المريخ بين عامي ١٩٨٦ و ١٩٩٠ . والمعروف ان مسافة الرحلة بين الأرض والمريخ ذهاباً وإياباً تبلغ نحو ٨٠٠ مليون كيلومتر ، ويستغرق قطعها في الوقت الحاضر نحو ستة أشهر . لكن جسم الانسان لا يتحمل هذه المدة الطويلة بسبب انعدام الجاذبية او انعدام الوزن .

ولذلك فانه لا بد له من استخدام محركات ايونية (Ions) كي تعطي المكوك الفضائي سرعة مقدارها مئات الألوف من الكيلومترات في الساعة ، وقد تصل هذه السرعة الى نحو مليون كيلومتر في الساعة . هذه العوامل كلها تؤهل المكوك الفضائي من الوصول الى كوكب المريخ في مدة تستغرق زهاء شهرين ، يضاف الى ذلك مدة البقاء على سطح ذلك الكوكب الأحمر . أما تفاصيل هذه العملية فتتم على النحو التالي :

تنطلق مركبتان من عيار ١٥٠٠ طن نحو كوكب المريخ تحمل كل منهما ستة أشخاص وتظلان مترافقتين ، وتغادران نطاق الأرض مدفوعتين بقاطرات نووية تكون قد وضعت سابقاً في مدار لهـا حول الأرض . هذه القاطرات هي خلاصة ما ستتوصل اليه الأبحاث في مجال تطوير الصاروخ النووي (نيرفا — Nerva) . وقد أطلق أول صاروخ من هذا النوع في شهر مارس عام ١٩٦٩ ، وكانت قوة دفعه نحو ٢٣ ٠٠٠ كيلوغرام . بعد هذا تم بناء وحدة دفع تبلغ قوتها ٣٤ ٠٠٠ كيلوغرام يمكنها من التحليق في الجو . ويعتقد العلماء أن هذا الصاروخ سيصبح جاهزاً للعمل في الفضاء خلال عام ١٩٧٧ ، حيث يعمل مدة عشر سنوات ويولد طاقة كهربائية مقدارها ٢٥ كيلوواط .

التعاون العالمي في حقل الفضاء

في شهر مايو عام ١٩٧٢ أبرمت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي اتفاقية للتعاون بينهما في أبحاث الفضاء ، وتنص على ان تلتحق مركبة « ابولو » الأميريكية بالمركبة الروسية « سويوز » عام ١٩٧٥ ، لتعملا متضامنتين للقيام بدراسة علمية مشتركة وهما في مدار حول الأرض . كذلك جاء في الاتفاقية ان تعمل كل من الدولتين على تطوير أجهزة لانقاذ طاقم الملاحين من الدولة الأخرى في حالة الطوارىء ، على أمل أن يكون هذا بدء تعاون دولي في مضمار ابحاث الفضاء .

وفي عام ١٩٦٩ ، قدرت التكاليف اللازمة لتحقيق مشروع المكوك الفضائي بما يتراوح بين ٩٠٠٠ و ١٢٠٠٠ مليون دولار ، من قبل مؤسسات مختلفة ومتخصصة . وقد رحبت الأوساط الأميركية باستعداد دول اخرى للمساهمة في انجاز هذا العمل الجبار ، مما سيجعل هذا التعاون خير وسيلة للتطور التقني وتعميمه ليشمل جميع دول العالم ■

نقولا شاهين — بيروت

بائع العرقسوس

للشاعر: عدنان مردم بك

ألف الأذى وضراوة الفقر   في عيشه المشبوب بالمر
ومضى وراء الرزق مندفعاً   كالنسر دون فريسة يجري
تلقاه مبتسماً ومن عجب   أشجانه ملء الحشا تفري
ما ذل من وقر له قدم   أو ناء ظهر منه عن وقر
شفتاه باسمتان ما عصفت   أشجانه بجوائح الجمر
ألف الأذى والنفس ما ألفت   كان المحبب دون ما تدري

° ° °

جثمت على الكتفين قربته   كلواعج الأدواء في الصدر
ورأت على كتفيه بغيتها   من مركب دثر ومن حجر
وكأنما ذر الدجى قتما   من دونها ينداح عن غمر
أو أنها اتشحت موزرة   بجناح ليل مسبل الستر
علقت بأسيار لتمنعها   من عثرة في المسلك الوعر
أسيارها الآلام عالقة   دون الضلوع بمخلب النسر

° ° °



طاساته بيديه هازجة   من نشوة عرضت ومن بشر
بغمت بأهزاج وما فغرت   ثغراً وما افتقرت إلى ثغر
ومضت مزغردة ومن عجب   أروت وأورت دون ما تدري
سلبت شعاع الشمس ريقه   وبهاءه بأشعة صفر
وتجلببت بالنور أدرعه   شفافة كالكوكب الدري
أو أنها بيمينه أكر   وضاءة من مشعل الفجر

° ° °

جرع يدار بها مشعشعة   كوميض برق في دجى يسري
تشفي جوى ولظى مؤججة   بالرى آونة وبالعطر

عدنان مردم بك – دمشق

رسم تخيلي الفنان للمكوك الفضائي المزمع استخدامه في أبحاث الفضاء في المستقبل . راجع مقال "المكوك الفضائي"
تصوير: ناسا



والزخارف الهندسية المنمنمة . راجع مقال "متحف حماة"

تصوير: خليل أبو النصر